مريم نريمان نومار

ظل امرأة

رواية للناشئة

ظلالٌ رقمية (رواية للناشئة)

© 2025 مريم نريمان نومار

الطبعة الأولى – (كندا، 2025)

جميع حقوق هذا العمل محفوظة بموجب **رخصة المشاع الإبداعي - النَّسب إلى المُؤلف - غير تجاري 4.0 دولي (CC BY-NC 4.0)**

يسمح هذا الترخيص للآخرين بمشاركة (نسخ و إعادة توزيع المادة بأي وسيلة أو شكل) وبالتعديل عليها (إعادة المزج، التحويل، والبناء عليها) — بشرط أن:

1. **يُنسب العمل إلى صاحبه الأصلي** بطريقة مناسبة، مع الإشارة إلى التغييرات التي تم إجراؤها إن وُجدت، ودون أن يُفهم من ذلك أن الجهة المرخِّصة تؤيد الاستخدام.
2. **يُمنع استخدام العمل لأغراض تجارية.**

ISBN 978-0-9950587-4-3

تم إنتاج هذا العمل بدعم مالي من **المركز الدولي لبحوث التنمية (IDRC) – كندا**، ونُشر بواسطة **مؤسسة سيكدف (SecDev Foundation)**.

الناشر مؤسسة سيكدف (SecDev Foundation)

الواصفات:	القصص العربية/ الشباب والناشئة/ الأدب العربي
تأليف:	مريم نريمان نومار
مراجعة فكرية وموضوعية:	د. رائد الشريف
تصميم الغلاف:	عبد المطلب نومار

تعبّر الآراء والأفكار الواردة في هذا العمل عن وجهة نظر المؤلفة فقط، ولا تعكس بالضرورة مواقف أو سياسات مؤسسة سيكدف أو المركز الدولي لبحوث التنمية.

IDRC · CRDI
International Development Research Centre
Centre de recherches pour le développement international

Canada

secdev.foundation

مريم نريمان نومار

ظِلالٌ رقمية

رواية للناشئة

شكر

أتوجه بخالص الشكر والامتنان إلى **المركز الدولي لبحوث التنمية ومؤسسة سيكدف الكندية** على دعمهما لهذا العمل

جزيل الشكر والتقدير **للدكتور رائد الشريف**، الذي آمن بالفكرة منذ بدايتها، وكان له دور بارز في إثراء هذا العمل.

كما أتوجّه بخالص الشكر إلى الصديقة **الكاتبة هيا صالح والدكتورة لبنى باهمام**، اللتين رافقتا مسيرة الرواية منذ خطواتها الأولى، وأسهمتا في مناقشة أفكارها.

وأعبّر عن امتناني العميق للمختص في السلامة الرقمية وأمن المعلومات **علاء غزال**، على ما قدّمه من استشارات تقنية قيّمة، وعلى مراجعته الدقيقة للملحق التقني للرواية.

شكراً لكل من دعم هذا العمل

حتى في عتمة الشاشة الصغيرة بين أيدينا.. تومض شرارة قادرة على إنارة الطريق لنا ..

إنها الوعي

جوري في صورة

بدأت جوري تقليبَ ألبوم والدتها القديم، وأخذت تُفتش عن صور تُظهر والدتها خلال مراحل طفولتها أو صباها، وكم استغربتْ أنّ والدتَها لا تمتلكُ سوى صور تُعدّ على الأصابع، وحين سألتها جوري أجابت: "لم يكن التصوير على أيامنا يتم ببساطة كما اليوم"، ثم أخذت تشرح لها تقنيات التصوير في الماضي، بينما جوري تنظر بعينين متفاجئتين، وتحمد الله من كل قلبها أنها لم تعش في ذلك الزمان و إلاّ.. يا للهول؛ لن تمتلك كل تلك الصور المخزنة عبر جوالها، والتي توثق كل اللحظات التي تمر في حياتها، وليس هذا فحسب، بل إنّ لكل لحظة عشرات الصور أيضاً.

في إحدى صفحات الألبوم عثرت جوري على صورة لوالدتها وهي ترتدي فستاناً أبيض وتقف بجوار شجرة توت وعلى شفاهها ترتسم ابتسامة خجولة، أشارت جوري إلى الصورة ضاحكة وسألتها:

"ما قصة هذه الصورة يا أمي؟".

ابتسمت والدتها وهي تُخرج الصورة من داخل إطارها الشفاف وتتأملها بعينين واسعتين:

"آه، هذه الصورة تذكّرني بيوم سيء من أيام طفولتي. كنت في الثامنة من عمري عندما قصّت أمي شعري وصار قصيرًا للغاية، وكانت النتيجة كارثية بالنسبة لي! شعرت بالحرج الشديد ولم أجرؤ على الذهاب إلى

المدرسة. كنت أعتقد أنني أبدو سيئة جدًا. ولتخفيف حزني، قرر والدي، أن يأخذني في نزهة ليحسن مزاجي، وهناك، التقط لي هذه الصورة".

تأملت جوري الصورة مجدداً وهي تتساءل في سِرها:

"تُرى؛ كيف لأمي أن تحتفظ بصورة كهذه، وهي ليست جميلة كما تقول، بينما أنا لا أستطيع نشر صورة إلاّ بعد تعديلها بعشرات الفلاتر لتبدو مثالية؟!".

سألت جوري وهي تأخذ الصورة من بين يدي والدتها وتتأملها بدورها:

"كيف تحتفظين بهذه الصورة وتعتزين بها رغم أنك تقولين إنك لم تكوني جميلة فيها؟ أنا بالكاد أحتفظ بصور دون تعديل".

ابتسمت الأم، ثم قالت وهي تربت على كتف جوري:

"الجمال الحقيقي يا حبيبتي، لا يكمن في مدى توافق الصورة مع معايير المثالية التي يفرضها علينا العالم، هذه الصورة تذكرني بلحظة خاصة، لحظة حملت أكثر من مجرد مظهر خارجي؛ إنها ذكرى النزهة مع أبي، والشعور بالأمان والحب الذي ملأ قلبي وقتها".

وضعت جوري الألبوم جانباً، ثم اتجهت إلى غرفتها وبدأت تتأمل ملامحها وتفاصيل جسمها في المرآة؛ عيناها الواسعتان، أنفها غير المتناسق، وشفاهها التي كانت ترى أنها بحاجة إلى تعديل. مررت أناملها على ملامح وجهها محاولة تحسسها من دون تعديلات رقمية، التقطت لنفسها بعض الصور، ونظرت إليها بتمعن،

هناك زوايا معينة يجب أن تلتقط الصورة منها حتى تخفي ما تراه غير متناسق في شكل أنفها، غير أن إحساسا بالنقص ظل حاضرا في جميع الأحوال؛ فوجهها لم يكن "ممتلئًا" كما تعودت أن تراه بعد استخدام الفلاتر، ولا كانت بشرتها خالية تمامًا من العيوب، مسحت كل الصور بعد أن شعرت بعدم الرضا عن النتائج كما يحدث في كل مرة تحاول فيها التصالح مع صورتها الحقيقية.

.....

بدأ الصيف يلفظ أنفاسه الأخيرة مع بداية العام الدراسي الجديد؛ كان كل شيء يتجهز للخريف؛ نسمات لطيفة قليلة البرودة تلامس الوجوه ومعها رائحة الأرض الرطبة التي تذكر جوري ببداية المدرسة. لا شيء تغير بالنسبة لها هذا العام سوى انتقالها إلى السنة الثانية ثانوي؛ التسريحة نفسها، والملامح ذاتها، إذ تعتمد دائمًا الغرّة المستقيمة التي تنسدل فوق جبينها بطريقة محددة، مثل غرّة "ليسا" مغنيتها المفضلة في فرقة "بلاك بينك" الكورية والتي تصفف شعرها الناعم بعناية وتقسمه إلى جزأين متساويين بحيث تكون الغرّة هي النقطة المحورية في إطلالتها اليومية. تعتقد جوري أن هذه التسريحة تجعل ملامحها متوازنة وترى فيها الحل المثالي لإخفاء عيوب وجهها.

تتابع جوري مغنية الكيبوب "ليسا" باهتمام على الأنستاغرام ولا تكتفي بسماعها، فقط بل تحب أيضا مشاهدة فيديوهاتها. قالت لصديقتها ليلى وهما تسيران معاً على طريق المدرسة:

" كم أحب الثقة التي تظهر بها والطريقة التي تنتقي بها ملابسها. انظري إلى لياقتها ومهاراتها في الرقص، كم أتمنى أن أكون مشهورة مثلها".

ضحكت ليلى وقالت:

"هل نتوقع بروز النجمة جوري في فرق الكيبوب المستقبلية".

"لاااا "صاحت جوري" ليس كمغنية أو راقصة، أتمنى أن أكون على الأقل محل اهتمام وأحظى بعدد كبير من المتابعين".

ابتسمت ليلى وقالت بنبرة مرحة:

-"حسناً إذن يبدو أنني سأحتفظ بصور كثيرة معك لأنني أتوقع ألاّ تكون لدي فرصة في المستقبل لالتقاط صورة معك، وحتى أؤكد لجمهورك على الأقل أنني كنت صديقتك وزميلتك في المدرسة نفسها".

-"شرط أن أوافق عليها" قالت جوري بنبرة مزاح، لكنها تعبر بجدية عن مخاوفها، فهي لا تحب الصور التي تلتقط من هواتف أخرى غير هاتفها الشخصي، وإذا ما حدث غير ذلك كانت بعد كل صورة تلتقطها صديقاتها لها من هواتفهن، تدخل معهن في جدال طويل راجية إياهن محوها، كما أنها في أغلب صورها تلجأ لاستخدام فلاتر الوجه لتغيير ملامح وجهها بإضافة لمسات خفيفة من المكياج، أو حتى وضع زهور على الرأس، مما يعطي الصورة طابعًا مرحًا.

.....

حصلت جوري على أعلى معدل في المدرسة، لذا تم تكريمها في حفل نهاية السنة. يومها تقدمت بخطوات سريعة، ثم نظرت إلى والديها اللذين كانا يجلسان في الصف الأمامي وعلى وجهيهما ملامح الفخر والفرحة وعيونهما تلمع وابتسامتهما تزيدها شعوراً بالسعادة. لكن فجأة بدأت التصفيقات والابتسامات تختفي من ذهنها، وحل محلها قهقهات ساخرة تنهال عليها من أماكن بعيدة لا يسمعها أحد غيرها، كانت الأصوات تعلو تدريجيا وتشوش ذهنها، طأطأت رأسها بعدما أبهرتها أضواء كاميرات الهواتف المحمولة الموجهة نحوها، كانت تلك الكاميرات تلتقط صورًا لجوري بينما أخذ جسدها يتعرق ويداها ترتجفان وهي تستلم الهدية من يد المدير، تمنت لحظتها أن تنشق الأرض وتبتلعها، هكذا وفجأة، تختفي من المشهد وتختفي معها تلك الصور التي لا تحبها، وتهدأ الأصوات التي تستحوذ على تفكيرها.

حين عادت للجلوس في مكانها شعرت أن ظلال الصور تلاحقها وتتكاثف فوق رأسها على شكل غيمة سوداء بوجه متوحش، ولم يغادرها الإحساس العميق بأن كل ما التقط لها من صور لن يكون جميلاً، وسيبدو وجهها فيها بشعاً وغير متناسق، ضمت يديها إلى صدرها بقوة وتماسكت حتى لا تفلت الدموع من عينيها.

في ذلك اليوم، تقدمت ليلى من جوري وهي تحمل هاتفها وتهزّه بلطف:

"انظري لقد التقطت العديد من الصور الرائعة سأرسلها لك فيما بعد".

انتزعت جوري الهاتف من يدي ليلى وبدأت تقلب الصور بسرعة قبل أن تعلن:

"امسحيها كلها، لا أبدو جميلة فيها".

استعادت ليلى هاتفها من جوري، ثم وضعت أصبعيها على الصورة وأخذت تباعدهما بشكل تدريجي حتى بدت ملامح صديقتها أكثر وضوحاً، وقالت مستغربة:

"أين المشكلة يا جوري؟! تبدين جميلة جدا ولا أرى سببا لمحو صورة تذكرك بلحظة يتمناها الجميع".

وضعت جوري أصابعها على الشاشة وقربت الصورة أكثر:

"انظري.. جانبا أنفي لا يبدوان متناظرين".

ضحكت ليلى بصوت عالٍ:

"هل تمزحين؟ أي تناظر يا فتاة؟! تبدين كما لو أنك بصدد حل مسألة رياضية، أنفك عادي وطبيعي ولا أعتقد أن هناك من يرى هذا التناظر غيرك".

قالت جوري:

"لا بد أنك تقولين هذا لأنك صديقتي وحتى لا أنزعج، لكنني متأكدة من هذا العيب في وجهي، بل إنني أفكر في إجراء جراحة تجميلية بعدما أدخل الجامعة".

قالت ليلى:

"حسناً كما تشائين، لكن يبدو أن الأشخاص غير المتناظرين أكثر جاذبية وغموضًا؟ لهذا السبب دائمًا تحاطين بالمعجبين!"، ثم ضربت جوري بمرفقها لتلفت انتباهها إلى رامي الذي كان يسترق النظر إليهما من بعيد..

في تلك اللحظة قفزت أمامهما سهى التي يبدو أنها كانت تستمع لحديثهما، وعرفت كيف تستغل الفرصة، اقتربت من ليلى وشدت الهاتف من يديها وهي تجبر شفتيها على الابتسام:

"أووو معك حق فعلاً يا جوري يبدو أن أحد جانبي أنفك يحاول الهرب".

انفجرت سهى ضاحكة قبل أن تقترب من جوري وتهمس في أذنها:

"الكثير من الصور التقطتها لك وأنت تستلمين الهدية؛ تُرى كم ستدفعين لي حتى لا أنشرها في مجموعة المدرسة وعلى مواقع التواصل الاجتماعي".

غادرت سهى المكان وهي تسير بطريقة استفزازية، بينما زادت نبضات قلب جوري وانقبضت أصابع يدها وبدا كما لو أنها على وشك الصراخ بأعلى صوتها، لكن ليلى هدأتها قائلة:

"أنت من لفت انتباهها لشكل أنفك الذي لم يلاحظه أحد غيرك. أنت جميلة كما أنت، وهذه التفاصيل الصغيرة هي التي تجعلك مميزة وفريدة".

أقنعة سهى

ركزت جوري نظرها على متابعة سهى وهي تشير لشلتها من الفتيات ليلحقن بها، ثم قبل أن تغادر رمقت جوري بنظرات ساخرة إذ لطالما حرصت سهى على إظهار هذا الوجه المتنمر بقسوة أمام زملائها، متقنة إخفاء مشاعرها الحقيقية خلف قناع اللامبالاة، فهي الابنة الثالثة لأسرتها، وقد ولدت في توقيت حمل معه تعقيدات عديدة، إذ فقد والدها وظيفته في شركة خاصة بسبب إفلاسها و إغلاقها، هذا الحدث ترك أثرًا عميقًا في نفسه وجعله عصبي المزاج سريع الغضب، ينفجر لأتفه الأسباب.

كان الجدال بين والد سهى ووالدتها مشهدًا يوميًا مألوفًا، وأصبح صراخ والدها جزءًا من إيقاع الحياة المنزلية. في إحدى الأمسيات، وبينما كانت سهى في المطبخ تحضر السلطة وصلها صوت والدها من غرفة الجلوس:

"سهى.. أحضري لي الماء؟".

أجابت سهى:

"حاضر بابا".

توجهت نحو الخزانة بحثاً عن الكوب، وبينما هي تسكب الماء فيه سمعت صوت والدها يعلو من جديد:

"سهى! هل أنتهيتِ من تحضير الماء أم ماذا؟!".

شعرت سهى بتوتر شديد ودخلت غرفة الجلوس مرتبكة، وبينما كانت تهم بمد يدها لتقديم الكوب لوالدها، انزلق من بين أصابعها وانكسر وتطايرت شظاياه في كل مكان.

"أنا... آسفة، لم أقصد..." قالت سهى بصوت مرتجف، لكن اعتذارها لم يكن كافيًا لإطفاء غضبه:

"ماذا فعلتِ الآن؟! هل إحضار الماء صعب لهذه الدرجة؟!".

شعرت سهى بغصة في حلقها، لكنها لم ترد؛ جلست على ركبتيها، وبدأت تجمع قطع الزجاج بحذر بينما كانت الدموع تملأ عينيها.

في تلك اللحظة، دخلت والدتها الغرفة، ونظرت إلى المشهد أمامها:

"ما الذي حدث هنا؟"، سألت بصوت متعب وكأنها تعرف الإجابة مسبقاً. أجاب والد سهى بغضب:

"ابنتكِ هذه لا تستطيع حتى تقديم كوب ماء دون أن تُحدث كارثة!".

جلس على الأريكة متجاهلًا وجودهما، فاقتربت والدتها منها، ووضعت يدها على كتفها وقالت بهدوء:

"اذهبي وأحضري كوباً جديداً، وأنا سأجمع بقايا الزجاج".

وقفت سهى بصمت واتجهت نحو المطبخ، فتحت الخزانة مجددًا وأخرجت كوبًا آخر، ملأت الكوب بالماء ببطء، وكأنها تخشى أن يحدث خطأ آخر.

عادت إلى غرفة الجلوس بخطوات هادئة، وضعت الكوب على الطاولة أمام والدها الذي عاد إلى متابعة التلفاز دون أن تنطق بكلمة ثم اتجهت إلى غرفتها وأغلقت الباب برفق. جلست على سريرها، وبدأت حل واجب الرياضيات، لكنها وجدت نفسها تخط خربشات بلا معنى على دفترها.

.....

في الصباح التالي، وبينما كان والدها يجلس في الصالة، أحضرت له سهى فنجان قهوة واتجهت نحوه في محاولة منها الاعتذار له والتقرب منه، وضعت الفنجان بحرص على الطاولة:

"تفضل القهوة كما تحبها".

"شكرا" قال بنبرة سطحية لا تحمل معنى، جلست سهى وطلبت منه بلطف:

"بابا، أحتاج مساعدتك في الرياضيات. هناك دروس لا أفهمها."

نظر إليها برهة، ثم قال بصوت خافت مليء بالإرهاق:

"لا مزاج لي لتدريسك، اطلبي من أمك أن تشرح لك ما تعجزين عن فهمه".

كلماته تلك جعلت سهى تشعر بالرفض، وأنّبت نفسها على محاولاتها الفاشلة التي لم تكن تجلب لها في كل مرة سوى المزيد من خيبات الأمل.. غادرت مكانها بابتسامة نجحت بالكاد في رسمها على شفتيها:

" ربما تساعدني ماما لاحقاً؟".

حمل والدها فنجان القهوة وغادر الغرفة، بينما بقيت سهى وحدها تتأمل المكان الفارغ من كل شيء.

كان هذا التصرف من قبل والدها رفضاً لواقع عاشه في طفولته ولا يريد أن يتكرر، فقد نشأ في عائلة تعاني من العجز الدائم في توفير احتياجات أبسط متطلبات الحياة، وكلما حاولت سهى التقرب من والدها كان يفرغ كل الضغوطات والإحباطات التي يعيشها عليها، كما لو أنه يحملها مسؤولية فشله.

أما والدتها فكانت تميل غالباً إلى الصمت دون أن تبوح بشيء، رغم أنها حاولت باستمرار أن تخرج ابنتها من دوامة العنف التي تعاني منها عن طريق توفير الأشياء المادية التي تحتاجها مثل كل بنات جيلها، حتى لو كان ذلك على حساب حاجات البيت الأساسية.

وقد قاد اليأس والدة سهى إلى أن تسعى إلى توفير هاتف ذكي لابنتها معتقدة أنه سيكون نافذة صغيرة تهرب عبرها من صراعات المنزل، لكن المال كان عقبة دائمة، فعمل والد سهى المتقطع بالكاد يكفي لسد احتياجات الأسرة الأساسية، ولم يكن هناك مجال لشراء شيء مكلف كالهاتف، لكنها ذات يوم، وبينما كانت ترتب خزانتها، وقعت عيناها على سلسال ذهبي كان قد أهداه لها والدها، نظرت إليه طويلاً، ورغم قيمته العاطفية، قررت أن الوقت قد حان لتتخلى عنه.

في صباح اليوم التالي، ذهبت إلى الصائغ سلمته السلسال، فأخذ يقلبه بين يديه قبل أن يعرض مبلغًا بسيطًا مقارنة بما كان يعنيه لها. شعرت بمرارة، لكنها ابتسمت قائلة:

"حسنًا، أقبله."

عادت الأم إلى المنزل ومعها هاتف جديد ملفوف في علبة أنيقة. انتظرت حتى عادت سهى من المدرسة، ثم مدت العلبة نحوها بابتسامة دافئة قائلة:

"هذا لكِ يا حبيبتي."

لم تصدق سهى عينيها. حدقت في العلبة ثم رفعت رأسها نحو والدتها، تحاول أن تفهم. لم تقل والدتها الكثير، فقط وضعت يدها على كتفها بلطف واكتفت بجملة بسيطة:

"أريدك أن تكوني سعيدة".

اندفعت سهى إلى حضن والدتها بقوة، وكأنها تحاول أن تنقل عبر العناق كل المشاعر التي لم تستطع التعبير عنها بالكلام. تلألأت الدموع في عينيها، لكنها حاولت أن تخفيها وهي تدفن رأسها فوق كتف والدتها:

"شكراً ماما... شكراً على كل شيء."

.....

محاولات الأم تلك لم تحمِ سهى من مشاعر الإحباط التي أخذت تتنامى في داخلها حتى وجدت في التنمر على الآخرين وسيلة للتنفيس عنها، فقد كانت تسعى لإضعاف الآخرين بأي شكل حتى تشعر بالقوة ولتثبت لنفسها أنها ليست الوحيدة التي تعاني القهر والعجز، وكان هذا القناع الذي صار ملازماً لها يظهر للآخرين أن سهى تكرههم، لكن الحقيقة ما يقبع تحت هو أن سهى كانت تكره نفسها، أو ربما كانت تكره في الآخرين ما لم تستطع الحصول عليه؛ حياة خالية من الصراخ والاتهامات، ودفء أسرة لم تعرفه قط. كانت تسخر من نقاط

ضعف الآخرين لأنها كانت ترى في ذلك صورة لما تعانيه في أعماق نفسها، وكأنها تهاجم ما يؤلمها داخليًا من خلالهم.

أحبت سهى هذا الشكل من السيطرة والقوة الوهمية التي تحقق لها متعة الانتقام من العالم الذي خذلها، لكنها لم تكن تدرك أن أفعالها تجاه الآخرين لم تزدها إلا بعدًا عنهم، فأغلب زميلاتها في المدرسة لا يحببن الحديث معها وكثيراً ما كانت كلماتها تجرحهن؛ عكس ليلى التي لا تأبه لكلامها ودائماً تحبط محاولاتها في التنمر عليها أو إزعاجها بأي شكل.

.....

قبل لحظات من بداية الدرس وقفت ليلى على بعد خطوات من نافذة الفصل بحثاً عن إضاءة مثالية لالتقاط صورة سيلفي؛ أمسكت هاتفها بيد مرفوعة قليلاً عن مستوى وجهها بزاوية مائلة وضعت يدها الأخرى على خصرها لإضافة لمسة من الأناقة إلى وقفتها. أخذت وقتها لتتأكد أن خلفيتها مناسبة، لكنها لم تلحظ سهى التي كانت تقف خلفها خارج إطار الصورة تتأمل الموقف وتنتظر اللحظة المناسبة للتدخل.

ضغطت ليلى على زر الكاميرا، وإذا بسهى تقفز إلى خلفية الصورة مُظهرة تعبيراً ساخراً أفسد جمال اللقطة وبضحكة مستفزة قالت:

"أوه، مسكينة كاميرا هاتفك! من الواضح أنها لم تُصمم لتلتقط صورًا جميلة."

شعرت ليلى بالإحراج لوهلة، لكنها استعادت هدوءها ثم نظرت إلى سهى وأظهرت الصورة مجددًا وقالت بابتسامة خفيفة:

"غريب... يبدو أن هاتفي التقط صورة لمخلوق عجيب في الخلفية. أتعرفين أي نوع من الحشرات قد يكون؟".

ضحكت الطالبات اللواتي شاهدن الموقف، بينما احمرّ وجه سهى ولم تجد ردًا مناسبًا، فتراجعت بخطوات مترددة.

ليلى حبيسة الفقد

حملت ليلى هاتفها لتلقي نظرة على الصور التي التقطتها. فتحت صورة السيلفي وبدأت بتقريبها لتتأمل ملامح وجهها وتتفحص الخلفية. توقفت عند ظهور سهى في الصورة بتعبيرها الساخر الذي أفسد اللقطة وتذكرت معه كلامها؛ "لماذا قد تقول شيئًا كهذا؟" فكرت ليلى، ورغم أنها ردت بثقة في لحظتها، إلا أن الكلمات تركت أثرًا، ولو بسيطًا، جعلها تقرّب الصورة على وجهها ثم ابتسامتها ثم قربتها أكثر وكأنها تحاول رؤية نفسها بعين شخص آخر.

همست لنفسها:

"هل بدوت حقًا سيئة؟ هل سهى محقة؟".

قرّبت الصورة مرة أخرى، هذه المرة إلى حدٍ جعلها تلاحظ حتى الظلال الصغيرة على وجهها. لكنها لم تجد شيئًا غريبًا، كل ما رأته كان وجهها الطبيعي، تنهدت بعمق ومحت الصورة ثم اتجهت إلى حسابها لقراءة التعليقات التي وصلتها على منشورها الذي نشرته في إحدى المجموعات عبر الفيسبوك:

"أشعر أن لا أحد يفهم ما أمر به، أنا ضائعة؛ لازمني هذا الشعور بعد فقدان جدتي العزيزة التي كانت بالنسبة لي كل شيء بعد انفصال والديّ ثم زواج والدتي. كانت ملاذي الآمن، الشخص الوحيد الذي كان يفهمني ويشعر بي.. بعد رحيلها، أشعر بوحدة عميقة، وكأنني فقدت جزءاً من ذاتي".

ومع التعليقات، وصلتها رسالة دافئة لفتت انتباهها:

"أشعر بحزنك العميق وأتفهم ما تمرين به، ففقدان شخص عزيز مثل جدتك يمكن أن يكون له أثر كبير في القلب؛ أحياناً يكون الشخص الذي نلجأ إليه في اللحظات الصعبة أكثر من مجرد شخص، بل هو ملاذنا ومصدر الطمأنينة والأمان. أعلم أنه لا يمكن لأي أحد أن يحل مكانها أو يملأ الفراغ الذي تركته، لكن أنا هنا بجانبك ولأجلك صديقاً أو كما أردت أن أكون.. عماد".

تسمرت عيون ليلى على الشاشة للحظات متسائلة عمن يكون عماد هذا؟! ثم دفعها الفضول لمعرفة معلومات إضافية عنه، ففتحت حسابه وأخذت تتنقل بين الصور والمنشورات، لا يبدو نشيطاً فيما يخص النشر، ولا توجد معلومات كثيرة عنه؛ لا وظيفته ولا المدينة التي يسكن فيها، المعلومة الوحيدة التي وجدتها هي أنه يحب الرياضة، وهذا ما تأكد لها وهي تنظر إلى صور الملاعب وفيديوهات مباريات عالمية نشرها على صفحته، أما صورة بروفايله فكانت لشخص يجلس في مكان عالٍ ولا تتضح ملامحه، ومعظم قائمة أصدقائه لفتيات في مثل سنها، فكرت أنه ربما يكون مرشداً نفسياً متخصصاً بقضايا تهم الفتيات، بخاصة وأن على صفحته عددًا من المنشورات التحفيزية المليئة بالأمل والتطلع للمستقبل.

ترددت ليلى طويلاً في الرد على الرسالة، لكنها شعرت بشيء ما يدفعها لذلك، ربما هو شعورها بالوحدة والحاجة إلى البوح بما يختلجها لاسيما وأنها لم تكن كثيرة الحديث عن حياتها الشخصية. فكتبت له:

"مرحباً عماد، شكراً على رسالتك اللطيفة. بصراحة، لم أتوقع أن يكتب لي أحد بهذا الأسلوب، خصوصاً شخص لا أعرفه".

انتظرت لحظات ثم ضغطت أخيراً على زر الإرسال.

لم يمر وقت طويل حتى أضاء هاتفها بإشعار **"عماد أُعجب برسالتك"** متبوعاً برسالة منه:

"أهلاً ليلى، شكراً على ردك. لم أكن متأكداً إن كنت ستقرئين الرسالة أو تردين عليها، لكن شعرت أنني بحاجة لمشاركتك شعوري ودعمي، خاصة وأنا أعلم أن الفقدان قد يكون صعباً جداً. كيف حالك الآن؟".

كتبت له:

"بصراحة، لا أزال أشعر بالفراغ، كانت جدتي قريبة جداً مني. لكن، أريد أن أعرف عنك أكثر، لماذا شعرت بالحاجة إلى كتابة تلك الرسالة لي؟".

كتب عماد:

"أحياناً نفهم ما يمر به الآخرون لأننا مررنا بشيء مشابه. فقدت شخصا عزيزا منذ سنوات، وكانت تلك أصعب فترة في حياتي، وكنت أتمنى وقتها أن أجد شخصاً يفهمني أو يشعر بي. لذلك أردت أن أكون ذلك الشخص لك".

أرسلت له ليلى الإيموجي 😔 وأتبعته بعبارات:

"آسفة لسماع ذلك، لكن، هل يمكنني أن أتعرف عليك أكثر؟".

أرسل لها إيموجي مبتسم ثم أضاف 😊**:**

"أنا مجرد شخص عادي، أحب الرياضة كثيراً كما قد تكوني لاحظتِ من صفحتي، وأحب التأمل في الأماكن الهادئة. الصورة التي على بروفايلي التقطها أحد أصدقائي في رحلة إلى الجبال. ماذا عنك؟ كيف تقضين وقتك عادة؟".

باحت له:

"يبدو أنك تعيش حياة هادئة وبسيطة. أنا شخصياً أحب القراءة والكتابة، أحياناً أجد الراحة في الكلمات. أعتقد أنها وسيلتي للتعبير عندما لا أجد من أتحدث معه".

رد عماد:

"هذا جميل جداً".

"الكتابة تُظهر الكثير عن الشخص. أظن أن لديك عالماً داخلياً عميقاً. إذا لم يكن لديك مانع، هل لديك نص أو كتاب مفضل يمكنك مشاركتي به؟".

تحمست ليلى:

"ربما سأشاركك شيئاً كتبته لاحقاً إذا شعرت أنني جاهزة لذلك. شكراً على اهتمامك يا عماد، سعيدة بالتعرف عليك 😊".

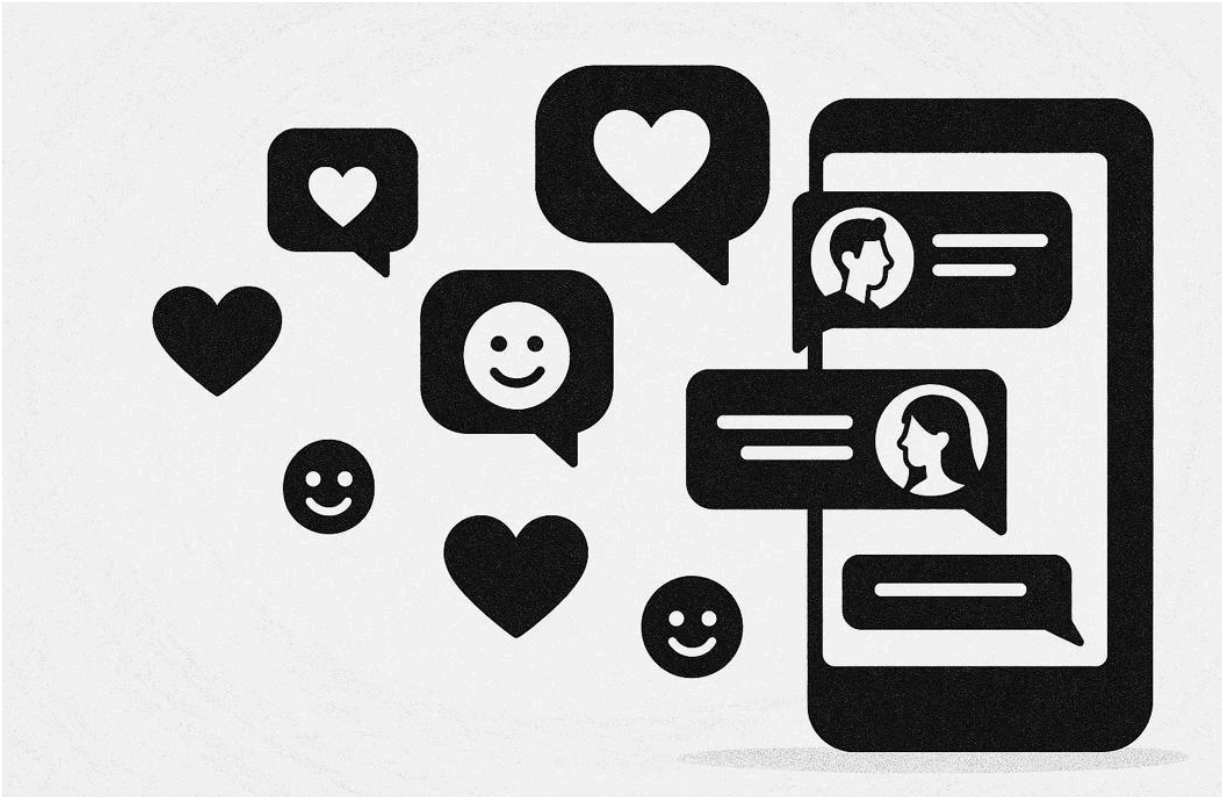

.....

أرخت ليلى جسدها فوق سريرها وأخذت تفكر في سياق حياتها كاملاً، لقد وُلدت في بيت جدتها بعد أن انفصلت أمها عن والدها قبل أن ترى النور، بيت دافئ رغم كبر مساحته، فيه حديقة صغيرة تهتم بها الجدة، وسط الحديقة شجرة تين كبيرة تقف بشموخ، إلى جانب ورود بألوان مختلفة، وفي زاوية من الحديقة اعتادت الجدة أن تزرع الذرة في صفوف متناسقة، وحين تنضج الأكواز وتبرز من بين الأوراق بلونها الأصفر الذهبي، تقوم الجدة بشويها ثم بتغطيسها في الماء مع القليل من الملح، وتجلس مع ليلى على أرض الحديقة ويبدآن في قضمها.

ارتبطت ليلى بجدتها، ومثّل لها بيتها المكان الوحيد المريح في العالم، لذا حين كانت تزور بيت والدتها أيام العطل، تحاول العودة إلى بيت جدتها بأسرع وقت مخترعة الحجج لذلك، بخاصة بعد تلك المشادة التي حصلت بينها وبين أمها حين أخبرتها ليلى مرة أنها لن تتمكن من النوم في بيتها بعد الآن، وأن أكثر ما يمكنها تقديمه هو أن تزورها صباحاً وتغادر مساء، وحين أرادت والدتها أن تستبقيها فترة عندها رفضت، فاحتدت عليها:

"أنا أمك وهذا بيتك أيضاً".

"لا أشعر بذلك"، قالت ليلى لتواجه أمها وربما نفسها أيضاً بالحقيقة، إذ إن علاقتهما لم ترقَ يوماً لعلاقة أم بابنتها، بل الأكثر إيلاماً أن ليلى كانت ترى أن والدتها تخلت عنها بزواجها الثاني، وأنها تمثل لها ثمرة زواج أول فاشل.

كبرت ليلى على صوت أذان الفجر الذي كانت تسمعه من المسجد القريب من بيت جدتها، وقبل أن يردد المؤذن "الصلاة خير من النوم"، كانت ترى جدتها جالسة على الكرسي متأهبة للصلاة، وكثيراً ما تشعر بها وهي تعدل وسادتها أو تسحب الغطاء برفق وتغطيها، ثم تمسح بيديها على رأسها وهي تدعو لها بصوت خافت..

مشاهد وأصوات ظلت تتردد في ذهنها ومعها قصص الجدة التي كانت ترويها عن مشاركتها في الثورة، وعن أمهات قدّمن الحب بلا حساب، وعن أبطال تجاوزوا المحن بلا يأس.

بعد بلوغ ليلى سن الخامسة عشرة توفيت جدتها، وعادت للعيش مع والدتها وزوجها وأخيها إياد، لا تذكر ملامح والدها فآخر لقاء لها معه كان وهي في السنة الثانية ابتدائي؛ عندما زارها في المدرسة قبل أن يغادر للعيش في فرنسا بعد حصوله على عمل هناك.

حاولت والدتها إعادة بناء العلاقة معها، لكن الأمر لم يكن بهذه السهولة بالنسبة لليلى التي كلما شعرت بالوحدة أو الخوف تغمض عينيها وتستحضر وجه جدتها وابتسامتها الهادئة، لتشعر للحظات قليلة أنها ما تزال في بيتها الأول، وهذا ما سبب لها فجوة نفسية عميقة؛ إن جسدها هنا، لكن روحها وأحلامها وما تحب كله تركته هناك بين جدران بيت الجدة وذكرياتها الجميلة.

.....

لأيام انشغل فكر ليلى بعماد، ومع المراسلات المستمرة بينهما، تعلقت بنافذة الدردشة التي أصبحت تمثل بالنسبة لها بوابة للعيش في عالم من المشاعر والكلمات العذبة، لدرجة أنها قضت العطلة الصيفية وهي جالسة أمام تلك النافذة، لا تخرج من غرفتها إلا للضرورة.

قال لها عماد بعد مرور أيام من الدردشة اليومية:

"أحيانًا أشعر أنكِ شخص يفهمني بطريقة غريبة. لا أعرف كيف أشرحها، لكن الحديث معك مريح جداً، هل سبق أن شعرتِ بهذا مع أحد؟".

ردت ليلى:

" أعتقد نعم، لكن ليس بهذا الشكل. معكَ كل شيء يبدو طبيعياً وجميلاً ".

ردّ عماد:

"هذا لأنكِ شخص حقيقي، بسيط وجميل من الداخل".

اكتفت ليلى بإرسال وجه إيموجي خجول 😊 وأرفقت معه:

"ليلتك سعيدة.."

وبمجرد إغلاقها لصفحة الدردشة تسلل إلى قلبها شعور غريب وشغلتها أسئلة كثيرة: "تُرى لماذا يهتم بي عماد بهذه الشكل؟ هل يمكن أن يكون معجبا بي فعلا؟"

وقبل أن تفكر في الإجابة راودها سؤال واجهها بما لم تكن تريد التفكير فيه:

"ولماذا أهتم أنا به"

في الحقيقة لم يكن لديها إجابة عن كل هذه الأسئلة، كل ما تعرفه أن علاقتها بعماد تسير بسرعة غريبة، كأن شيئاً خفياً يدفعها إلى الأمام دون أن تدري إلى أين. فقد حاول التقرب منها بكل الطرق المتاحة له، وكان يُشعِرها بوجوده إلى جانبها في جميع المناسبات، وكثيرا ما كانت محادثاتها الطويلة معه تمنحها شعورا دافئا، ففي أول أيام المدرسة بعث لها:

"صباح الخير، ليلى! أتمنى لكِ بداية رائعة في هذا العام الدراسي. أنا واثق أنكِ ستكونين مميزة كما أنتِ دائمًا. لا تنسِ أن تبتسمي .. ♥".

لم تجد كلمات تعبر عن حجم سعادتها برسالته فكتبت له:

"صباحك سعيد 🥰 ".

ثم قفزت من سريرها وبدأت في تجهيز نفسها، بينما ارتسمت ابتسامة صغيرة على شفتيها وهي تتذكر كلمات عماد؛ اتجهت إلى المطبخ وقد جهزت لها والدتها فطور الصباح الذي تحبه؛ حليب مع القهوة وبعض الخبز المشوي على النار مع الزبدة والمربى، وهي عادة لم تغيرها منذ طفولتها مع جدتها. أعدت حقيبتها المدرسية ووقفت لحظات أمام المرآة بزيها المدرسي، أخذت نفسًا عميقًا شاعرة أن كل شيء حولها ينبض بالحياة..

قطع رنين هاتفها تأملها للسعادة التي تطل من عينيها، التقطت الهاتف وأجابت على الفور وبصوت حيوي مرح:

"أهلاً جوري".

جاءها صوت صديقتها:

"انتظريني في المكان المعتاد، قد أتأخر قليلا لكنني قادمة".

أكدت ليلى:

"حسناً سأنتظركِ".

جوري تلحظ سراً

في ذلك الصباح، عصفت رياح قوية قادمة من جبال الأوراس، ومعها شعرت جوري بقطرات المطر وهي تطرق زجاج النافذة كما لو أنها تداعبها بأظافرها، فتحت هاتفها وبدأت تتصفح حسابات المغنيات والفاشيونيستات على الإنستغرام بحثا عما يمكن أن تلبس في صباح كهذا، يقف الجوّ فيه في مفترق الطرق بين البرودة والحر، وساعدها كذلك التطبيق الخاص بتنسيق الملابس الذي وضعت عليه كل محتويات خزانتها من الملابس وتركت له مهمة تنسيق ملابسها واقتراح إطلالات مختلفة.

كانت زخات المطر تهطل ثم تختفي لتطل الشمس بخجل، قالت لوالدتها:

"لا أحب هذا الجو فأنا لا أعرف ماذا أرتدي".

ردت أمها:

"خزانتك مليئة بالملابس المناسبة لكل الفصول، لذا جهزي نفسك قبل أن تتأخري على المدرسة".

فتحت صورة من الانستاغرام وبدأت في تنسيق ملابس من خزانتها تتوافق مع تلك الصورة المقترحة من تطبيقها الذكي واختياراته لما ترتدي، لكن سرعان ما وصلها صوت والدتها التي لمحتها من باب المطبخ:

"غيري هذه الملابس حالاً! هل يجب أن أذكرك كل صباح بأن عمرك ستَّ عشرةَ سنة فقط؟ البسي ما يناسب عمرك ولا تقفزي إلى أعمار من هم أكبر منك".

انزعجت جوري من ملاحظات والدتها، فبحثت مجدداً بين ملابسها لتختار الأنسب، وحين استبدت بها الحيرة قررت أن ترتدي سترة عريضة مع سروال جينز.

ركضت للقاء ليلى التي كانت تنتظرها.

"إنه العمر والجيل الذي يشغل الجميع"؛ قالت جوري لليلى وهما في طريقهما إلى المدرسة:

"لماذا يعتبروننا دائمًا كسالى ولا نفعل شيئًا سوى استخدام هواتفنا؟ وكأن الجيل السابق كله كان مشغولا بالاختراعات والاكتشافات!".

ضحكت ليلى وقالت:

"وكأنهم لا يقضون وقتهم الآن على فيسبوك وواتساب. نحن فقط نستخدم تطبيقات مختلفة، هذا هو الفرق!"

"نعم"، قالت جوري مضيفة:

"لكنهم حرفياً لا يفهمون كيف نستخدمها لأشياء مهمة أيضًا. نتعلم، نتواصل، وحتى نقوم بمشاريع. لكن كل ما يرونه هو أننا 'جيل الهواتف' ولا نعرف كيف نعيش بدونها."

"والمزعج أكثر أنهم ....." أضافت ليلى قبل أن يقاطعها تنبيه من هاتفها لتنشغل بالرسالة التي وصلتها؛ استرقت جوري النظر إلى هاتف ليلى، وقد لمحت اسم عماد مكتوباً أعلى نافذة الدردشة.

"من صاحب هذه الرسالة الصباحية؟" سألتها جوري، فارتبكت ليلى وقالت:

"لا أحد ...إنها ماما".

شعرت جوري بشيء غريب. ليلى لا تكذب عادةً، لكن ارتباكها كان واضحًا، كانت تُراقبها من حين لآخر، وقد لاحظت أنها تنظر إلى هاتفها بسرية وكأنها تنتظر شيئًا. تساءلت جوري في نفسها: "لماذا تخفي ليلى هذا الموضوع عني؟ هل تخشى شيئًا أم أنها لا تثق بي؟".

.....

قررت جوري أن تتحدث مع ليلى بصراحة، لكنها تراجعت عندما شعرت أن الأمر قد يزعجها، وبدلاً من ذلك، قالت بصوت عادي:

"لا تنسي ضبط الهاتف على الوضع الصامت حتى لا تتعرضي للإحراج في الحصة"

بالكاد نجحت ليلى في رسم ابتسامة على وجهها، ثم حاولت تغيير الموضوع بشكل مفاجئ:

"جوري، هل تواصل معكِ رامي خلال العطلة؟".

توقفت جوري للحظة، ثم نظرت إلى ليلى:

"رامي؟ لماذا تسألين؟".

أجابت ليلى بابتسامة تخفي وراءها بعض التوتر:

"لا شيء، فقط كنت أريد أن أعرف. بدا لي أنه ربما كان لديه شيء ليقوله لكِ."

شعرت جوري أن خلف كلام ليلى يقبع كلاماً آخر، فرامي، صديق مشترك بينهما، كان دائمًا ودودًا، لكنه لم يكن شخصًا يتواصل كثيرًا خارج الدوام المدرسي.

"في الواقع لا، لم يتواصل معي. لكن لماذا يهمك الأمر؟ هل هناك أمر لا أعرفه بخصوصه؟" سألت جوري بنبرة تشي أنها تريد من ليلى مزيداً من التوضيحات.

ترددت ليلى للحظة، ثم قالت بصوت أقرب للهمس:

"لا، لا شيء مهم. فقط خطر لي أنه قد يكون تحدث معكِ بشأن أمر ما."

ابتسمت جوري، لكنها بدأت تتساءل في داخلها: "لماذا تهتم ليلى بهذا الأمر؟ هل يمكن أن يكون رامي قد قال أو فعل شيئًا جعلها تشعر بالريبة؟ أم أن الأمر يتعلق بشيء آخر تمامًا؟"، وفي تلك اللحظة تذكرت أنها لمحت سهى خلال الحصة الأخيرة وهي تكتب شيئًا على ورقة صغيرة وتطويها بعناية، ثم دون أن تلاحظ المعلمة، مررت الورقة إلى رامي عبر أحد الزملاء الجالسين بينهما.

شعرت جوري بالدهشة، وفكرت في نفسها: "لماذا تتواصل سهى مع رامي بهذه الطريقة؟".

أما رامي ففتح الورقة بهدوء قرأها ثم أخفاها في كتابه دون أن يظهر على وجهه أي تعبير يذكر.

شعرت جوري بالقلق من أن هناك شيئًا غريبًا يدور في الأجواء، وطوال الحصة التالية راقبت تصرفات سهى ورامي بعناية، ولاحظت أن سهى كانت تمطر رامي بنظرات سريعة بين الحين والآخر، بينما كان هو يركز على كتابه من دون أن يظهر أي اهتمام.

.....

نظرت جوري إلى ليلى بجدية وقالت:

"هل هناك أمر لم تخبريني به؟".

تنهدت ليلى وقالت بصوت هادئ:

"نعم، الأمر يتعلق برسائل غريبة بدأت تصلني خلال العطلة. الرسائل كانت تشير إلى رامي بطريقة غامضة، وكأن هناك شيئًا بينه وبين سهى، لم أتأكد من الأمر، لكنني بدأت أشعر بالقلق."

في الاستراحة، بينما كانت جوري تجلس مع ليلى في زاوية من ساحة المدرسة وتشربان العصير، قالت بصوت متوتر:

"ليلى، هل تعتقدين أن هناك علاقة بين سهى ورامي؟".

بدت ليلى متفاجئة، لكنها ردت بصوت منخفض:

"لا أعرف، لكن فكرة وجود علاقة بينهما تبدو غريبة. رامي شخص هادئ ومنطوي، وسهى ليست من النوع الذي ينسجم معه بسهولة."

بينما كانت تحدق في كوب عصيرها، بدأت جوري تحدث نفسها:

"رامي صديقي، وهو مجرد صديق. فلماذا أشعر بالانزعاج إذا كان مهتمًا بسهى؟"، تأملت انعكاس صورتها على زجاج نافذة الفصل القريب منها، تمتمت بصوت منخفض: "لماذا عساه يهتم بي؟! أنا لست جميلة بما يكفي لألفت نظره، أنا فقط جوري؛ صديقته التي يتحدث معها عن الكتب والمشاريع الدراسية ويفضفض لها أحياناً عن حياته العائلية".

ولادة جوليا جولي

طالما أحبت جوري مراقبة والدها الذي يعمل مهندسا معمارياً وهو يخط تفاصيل المنازل، كانت تلاحظ كيف يحول البياض إلى فكرة والفكرة إلى منزل. سألته في إحدى المرات:

"بابا، بماذا تشعر عندما تنهي رسم تصميم لمنزل؟".

أجابها:

"أنا يا ابنتي لا أرسم منازلَ فقط، و إنما أبني أحلامًا وهويات من خلال تصاميمي، فكل منزل يعكس رؤية مختلفة".

أما والدتها فتعمل مهندسة ديكور وكانت المسؤولة عن التصميم الداخلي لمساحات منزلهم واختيار الأثاث وأيضا الألوان، كانت تقول لجوري أنها اختارت لغرفتها اللون الوردي الفاتح حتى يعطيها شعوراً بالراحة والدفء".

كان كل مشروع يعمل عليه والدها ووالدتها بمثابة لوحة فنية بالنسبة لها، تعلمت جوري من والدها أن "الحياة ليست قرارات عشوائية"؛ عبارة كثيراً ما كان يرددها على مسامعها مضيفاً:

"كل الخطوط التي أضعها على الورق هي تصميم يتطلب تخطيطًا وعناية للوصول إلى الشكل الذي نريد. وكل الزوايا التي أخطّها على الورق ستحمل مع الوقت العديد من الحكايا".

أما والدتها فتعلمت منها كيف تتحول المساحات العادية إلى أماكن ساحرة نابضة بالحياة. وهاتان القاعدتان بالنسبة لها لم ترتبطا فقط بعالم التصميم المعماري، بل بكل تفاصيل حياتها، فمن بين الأسئلة التي كانت تراودها إمكانية تصميمها لهوية جديدة بالطريقة التي تريد أن يراها بها الآخرون، تساءلت:

"ماذا لو كنت ورقة بيضاء أخطّ عليها هوية جديدة أكشف عمّا في داخلي من أفكار خارج هذا الجسد وبعيدًا عن هذه الملامح؟".

.....

هذه الفكرة قادتها إلى بداية مشروعها؛ صارت تلتقط صورًا بفلاتر مختلفة غيرت ملامح وجهها تمامًا، لم تكن الصور تشبهها وهذا هو المطلوب بالنسبة لها، لأنها أرادت من هذه الصور أن تجعل البيئة الرقمية البوابة التي ستختبر من خلالها حياة مختلفة بملامح وشخصية جديدة:

"أي اسم سأختار مثلا لهويتي الجديدة؟"، تساءلت ثم أضافت: "أنا أحب اسمي، تقول أمي أنها اختارته لي لأنها تحب الورد الجوري، ولأنها تريدني أن أكون مثل الوردة الجوري رقيقة، ولكنها قوية ومظهرها يوحي

بالأمل والثقة والمشاعر النبيلة؛ وأنا مثل أمي، أحب الجوري وأحب كل أنواع الورود، فهي تمنحني دائمًا شعورًا بوجود شيء جميل يشبهنا لا يمكننا التعبير عنه، الورود بالنسبة لي طاقة إيجابية مذهلة".

حملت جوري القلم وكتبت على دفترها العديد من الأسماء: زهرة الأوركيدا، اللوتس، الياسمين.. لكنها لم تُرد اختيار اسم يعكس هويتها الحقيقية، لذا فكرت بخيارات أخرى مثل: عاشقة الورود، ملكة القلوب، الفتاة الحالمة.. ثم شعرت أنها أسماء تبدو هشة وسطحية، إلى جانب أن زملاءها في المدرسة كثيرا ما يسخرون من هذا النوع من الأسماء ويعتبرون أن أصحابها شخصيات غريبة ومتصنعة، أخذت القلم وخربشت على كل ما كتبت، تشابكت الخربشات مع الكلمات فبدا كما لو أن عاصفة اجتاحت دفترها..

بعد تردد طويل، وقع اختيارها على "جوليا" قالت في سرها: "اسم بسيط وأنيق، بدون بهرجة، لكنه يحمل في طياته غموضًا يروق لي. جوليا يمكن أن تكون: فتاة عادية، فتاة جميلة أو حكيمة، أو مغامرة. الاسم يعطيني الحرية لأكون متعددة الأبعاد وهذا ما أحتاجه في هويتي الجديدة دون أن أُحبَس في قالب واحد".

رأت جوري أن "جوليا" تعكس توازنًا بين الرقة والقوة، هذا الاسم يسمح لها بأن تكون كما تريد، لذا ودون تفكير في اسم آخر تضيفه لجوليا قررت أن تكون هويتها الجديدة كما يلي:

اسمها: جوليا جولي

صفاتها: المحبة للسفر والموسيقى

فتحت كاميرا الهاتف لالتقاط صورة شخصية، وبدأت تقلب الخيارات من "فيلتر" إلى آخر حتى وجدت نسخًا كثيرة منها تشبهها ولا تشبهها، وضعت هاتفها على المكتب فتجلى لها جسمها بشكل مختلف وبدت ملامحها كما تتمنى دائما، ضغطت على تسجيل الفيديو، واقتربت من الكاميرا ثم ابتعدت وبدأت بالدوران كما لو أنها ترقص على إيقاع خفي منبعث من قلبها؛ ها هي ترى نفسها بعيون جديدة، مفعمة بالثقة والجمال، تحمست للحظة الولادة تلك والتي كانت بمثابة قطعة من حلم تتجسد بتفاصيل مختلفة على الشاشة.

.....

عندما دخلت جوري لأول مرة إلى العالم الافتراضي بهويتها المستعارة شعرت كما لو أنها تهبط على جزيرة مهجورة. كل شيء بدا غريبًا وساكنًا، كما لو أنها في عالم آخر، عالم واسع جدا لكنه فارغ. لم يكن هناك أحد، فقط أيقونات تلمع هنا وهناك كأنها نجوم في سماء مظلمة. بدأت تتجول بين القوائم والخيارات تنتظر بشغف أن تتفاعل مع الناس، لكنها في الوقت نفسه لا تنكر خوفها من أن يكتشف رفقاؤها هويتها الحقيقية.

لكنها صممت أن تبذل كل جهد من أجل ألا يكتشف أحد، حتى أقرب الناس لها، أنها هي "جوليا جولي"، وانشغلت بهذا السر الذي قررت أن تحتفظ به لنفسها، وسخّرت كل طاقة تملكها من أجل إبعاد الشبهات عنها لتحقق حلمها في الظهور والشهرة، و إن من خلف قناع.

هويتي الافتراضية

عالم جوليا جولي

شعرت جوري بشوق كبير لجوليا، فبعد مرور شهر من إنشائها اكتفت فقط بكتابة بعض المنشورات مع اعتماد الهاشتاغات والترندات التي من الممكن أن تجعل منشوراتها ظاهرة لعدد كبير من الأشخاص.

بعيداً عن ضجيج الأفكار والقصص المحيطة بها ترى جوري في هذا العالم ملاذا حيث يمكنها التعبير عن الأفكار التي تخشى البوح بها، تحاول أن تظهر بشخصية غريبة لذا تختار منشورات غامضة تحمل أسئلة لا إجابات واضحة لها مع صورة عميقة تعبر عن مشاعرها تقوم بتحميلها من الانترنت أو تلتقطها لنفسها.

كانت قد انخرطت في دورة تدريبية متخصصة بالتصوير الرقمي، وقضت أوقاتاً طويلة تشاهد فيديوهات تعليمية عن الموضوع عبر اليوتيوب، ثم اشترت بما ادخرته من نقود بعض البرامج الذكية والمخصصة لفلترة الصور والفيديوهات.

وقفت جوري أمام المرآة تتأمل وجهها؛ مررت أصابعها على أنفها ثم وجنتيها، التفتت يمينا وشمالا؛ تريد أن تلتقط صورة تُظهر جزءًا من وجهها، لكنها في الوقت نفسه لا تريد أن تكشف عن ملامحها الحقيقية، فتحت تطبيق الكاميرا على هاتفها، وبدأت التجربة..

أمسكت الهاتف بزاوية مائلة قليلاً، التقطت صورة لجانب وجهها الأيسر فقط، ثم أضافت فلترا ناعما يجعل ملامحها تبدو أقل وضوحًا. نظرت إلى الصورة وابتسمت:

"هذا جيد، لكن ربما أحتاج لالتقاطها من زاوية أخرى."

وقفت بجانب النافذة، حيث كان ضوء الشمس يتسلل بخجل بين الستائر، وأمالت رأسها للخلف قليلًا. هذه المرة اختارت فلتراً يضيف وهجًا ذهبيًا على الصورة، مما جعل ملامحها تذوب تقريبًا في الضوء. التقطت الصورة وراجعتها باستخدام الزوم:

"جميل، هناك فرص أخرى لأن أكون أكثر غموضًا".

.....

انتقلت إلى ركن الغرفة حيث كانت الإضاءة خافتة. أمسكت الهاتف بشكل يقابل وجهها، ثم رفعت يدها لتغطي نصفه، بينما أضافت فلترا أحادي اللون يحول كل شيء إلى درجات من الأبيض والأسود. حدقت في الصورة مطولا ثم قالت:

"هذه مختلفة... لكنها ما زالت تُظهر الكثير."

قررت أن تلعب بالفلاتر الرقمية أكثر. اختارت واحدًا يضيف رسومات تجريدية على الصورة ليجعل ملامحها تبدو وكأنها مرسومة بخطوط ملونة عشوائية. أضافت ابتسامة صغيرة دون أن تفتح شفتيها، وضغطت على زر الالتقاط، وضعت اصبعيها على الشاشة قربتها ابتسمت قائلة:

"هذا حرفيا ما أريد.. مزيج من جوري وجوليا".

نشرت الصورة وأرفقت معها النص:

أحيانًا، كل ما نحتاجه هو لمسة سحرية بفيلتر لتُبرز رؤيتنا الخاصة للجمال. 🖌️💡 "

#حياتنا #تأملات #لمسة_خفية #فلاتر

لم تتجاوز منشوراتها الثلاثين إعجاباً، وعشرة تعليقات..

قامت بنشر صورة أخرى وأرفقت معها:

📸 **"بعض الأحيان كل ما نحتاجه هو فلتر صغير ليعكس مزاجنا الجميل، سواء كان هادئًا، مرحًا، أو غامضًا.**

#لحظة_بفلتر #جمالك_حكاية

تزايد عدد التعليقات خاصة من فتيات يسألن عن الفيلتر الذي قامت باستخدامه، فخطرت على بالها فكرة أن تقدم من خلال صفحتها معلومات عن مختلف أنواع الفلاتر التي يمكن استخدامها في حالات مختلفة:

أقترح عليكم اليوم فلتر "الجمال المثالي" يمكن من خلاله إعادة تشكيل ملامح الوجه بلمسة ناعمة لتبدو أقرب إلى معايير الجمال النموذجية إلى جانب تعزيز الفك، تصغير الأنف، و إبراز الشفاه

#لحظة_بفلتر #جمالك_حكاية

مع مرور الوقت، تزايد عدد الإشعارات والإعجابات، وانهالت التعليقات على منشوراتها. لم تكن الفتيات وحدهن من أبدين اهتماماً بعالم الفلاتر الذي أبدعت في تقديمه، بل حتى الفتيان انضموا للموجة، معبرين عن إعجابهم بالطريقة التي نسجت بها هذا العالم الرقمي المثير. هذا الاهتمام أصبح بمثابة دعم غير مباشر دفعها للتفاعل مع جمهورها، ولكن بحذر مدروس.

بدأت تجيب على بعض التعليقات وتطرح أسئلة غامضة تزيد من حيرة متابعيها، وتحثهم على التفكير والتفاعل أكثر. كما أضافت منشورات تحمل قصصاً قصيرة عن عالم الفلاتر، مليئة بالتلميحات، ما جعل متابعيها يشعرون أنها ليست مجرد شخص خلف شاشة، بل صديق يشاركهم شيئاً قريباً من قلوبهم.

ومع مرور الوقت، أصبح السؤال الذي يطرح في أغلب التعليقات على صفحتها:

"من أنتِ؟"

.....

بلغ الفضول ذروته لدى المتابعين لمعرفة شخصيتها الحقيقية. هذا الحماس دفعها لنشر منشور قالت فيه: **"أعلم أن الفضول قد بلغ بكم مداه لمعرفة من أكون، لذا أطلق تحدياً: هل يمكن لأحدكم أن يكتشف هويتي الحقيقية من دون فلتر؟".**

هذا التحدي فتح باباً جديداً للتفاعل، حيث أصبح الجميع يحاولون تخمين ملامحها وشخصيتها من خلال التلميحات التي قدمتها في منشوراتها السابقة.

اختارت جوري صورة لها تجلس في غرفتها مع استخدام "فيلتر" يغير ملامحها وحرصت على إزاحة الغرّة عن جبينها محاولة تغيير هذا المظهر الذي يميزها. عملت جوري بجد على تشكيل شخصيتها الافتراضية من خلال الدخول في العديد من المجموعات والتعليق على كل المنشورات.

لم تكن مشاركات جوري اليومية في هذا النوع من المجموعات عادية، فكثيرا ما كانت تنهي تعليقاتها بحصولها على عدد كبير من المتابعين والأصدقاء الجدد ما جعل عالم جوليا يكبر وأصبح العديد من المتابعين يطلبون منها نصائح حول قصص مختلفة في حياتهم.

ولم يتوقف فضولهم إلى هذا الحد، بل إنّ الكثير من التعليقات كانت تطلب منها الكشف عن تفاصيل جديدة من حياتها. وتكاثر عدد الأصدقاء حتى تفاجأت ذات صباح بإشعار جديد من حسابها؛ اتسعت عيناها وارتجفت أصابعها وهي تقرأ الاسم؛ إنه صديقها رامي، تسارعت دقات قلبها، واختلطت مشاعرها، ما جعلها تغلق التطبيق من دون تفكير، هاربة من لحظة مواجهة لم تكن مستعدة لها، تساءلت:

"هل يعقل أن رامي اكتشف هويتي الافتراضية؟".

ولم تكد تنتهي لحظات الدهشة تلك حتى أرسلت لها ليلى صورة لحساب جوليا على الواتساب تسألها:

"هل تعرفين صاحبة هذا الحساب؟".

ارتبكت جوري وردت:

"لا ... لا أعرفها" ثم أضافت محاولة فصل ذاتها الافتراضية عن الحقيقية قائلة:

"من هي؟ هل تعرفينها؟ هل يعرفها أحد؟".

كتبت لها ليلى:

"لا، لكنها تظهر دائما في قائمة الأصدقاء المقترحين ويبدو حسابها مُلهما".

"أضيفيها إذن حتى تستفيدي" ردت عليها جوري وهي تأخذ نفسا عميقا..

.....

شعرت جوري بالراحة بعد مراسلة ليلى، فقد أدركت أن إضافة رامي لجوليا لم تكن تعني شيئا يخصها بشكل مباشر، ومع ذلك، لم تستطع منع شعور خفيف بالغيرة من شخصية جوليا الافتراضية التي بدت مثالية في كل شيء، لكن هذا الشعور لم يدم طويلًا؛ فسرعان ما نسيت هذه المشاعر وهي تتنصل من شخصية جوري الواقعية وتلبس قناع جوليا الافتراضية..

وبين علاقاتها الواقعية والافتراضية، وجدت جوري ذاتها في الثانية، إنها تشعر كما لو أنها مع عائلتها الروحية فلا ملامح لها هنا، لكن شعورا دافئا كان يتملكها كلّما فتحت حساب جوليا، حتى غدت تنتظر طوال اليوم تلك اللحظة وكأنها طقوس سرية تخصها وحدها، وكثيراً ما كانت تنظر إليها كمرآة كبيرة ترى فيها ذاتها بكل وضوح لكن من دون أي حكم أو انتقاد.

جوري ورامي

ربطت العلاقة العميقة بين جوري ورامي الذي كان بالنسبة لها أقرب أصدقائها، وكثيراً ما كانا يتشاركان وقت الراحة في ساحة المدرسة، ويتناقشان في مختلف المواضيع.

يعيش رامي مع إخوته الثلاثة ووالده منذ وفاة والدتهم، ويحب مشاركة جوري مشاعره، ويحدثها عن بيتهم وكيف أصبح غارقا في صمت ثقيل وفراغ رهيب بعد رحيل والدته.

في مرة قال لها:

"أشعر أنني فقدت توازني منذ رحيل والدتي، أشتاقها في كل تفاصيل حياتي، هل تعلمين يا جوري؛ أحاول أن أكون قوياً من أجل والدي، فبعد سفره الشهري للعمل في الصحراء لا بد لي أن أوزع المهام المنزلية على إخوتي، وأحاول تنظيم أمورهم، وفي الوقت نفسه أحاول أن أكون مع أبي حامياً لهم وسنداً".

حين قال هذا اغرورقت عيناه بالدموع، فأشاح بوجهه عنها حتى لا ترى دموعه. وكم كانت جوري تتعاطف معه وتذكرها مشاعر الفقد المؤلمة التي يعيشها بتلك التي تستولي على صديقتها ليلى حين تتذكر جدتها، حتى أنها في أحيان كثيرة كانت تفكر أن مرارة الموت يتجرعها الأحياء وحدهم.

حين كانت جوري تسمع ألم رامي، تبذل كل جهدها لمواساته، فتتذكره في مناسبات كثيرة، وتشاركه الأطباق التي تحضرها والدتها لها، وأبرزها حلوى "البراج" التي يحبها كثيراً، وكانت أمها تجيد صنعها احتفاءً بقدوم الربيع، وهي الحلوى التي تحضر كطقس احتفالي تحضره كل العائلات الجزائرية.

ومثلها رامي طالما تذكرها، فعندما ذهب في رحلة إلى الصحراء أحضر لها "وردة الرمال" من هناك، قائلا:

"إنها تشبهك فهي نادرة وفريدة".

.....

وقفت سهى على بعد خطوات تراقب بصمت مشهد جوري ورامي الجالسان على مقعد خشبي في ساحة المدرسة يتخلل حديثهما ضحكات عفوية، وعلى بعد خطوات شعرت بغصة في قلبها، مزيج من الغيرة والرغبة في أن تكون هي محور انتباهه، فكرت سريعًا؛ لا يمكنها أن تتركهما هكذا دون أن تحاول لفت انتباه رامي بأي طريقة. وبينما كانت تتظاهر بالانشغال بحقيبتها، خطرت في ذهنها فكرة!

اقتربت سهى بخطوات مدروسة من رامي وجوري، متظاهرة بأنها لم تلاحظهما، وعندما أصبحت على مقربة، تعثرت بقدميها فجأة، لتسقط كتبها ودفاترها أرضًا..

انتفض رامي على الفور ووقف متجها نحوها قائلا:

"هل أنت بخير يا سهى؟".

رفعت سهى نظرها إليه بخجل مصطنع، ابتسمت ابتسامة خفيفة وهي تنفض يدها:

"نعم، أنا بخير... فقط كنت مستعجلة ولم أكن منتبهة."

انحنى رامي لمساعدتها في جمع الكتب المتناثرة، بينما بدأت سهى تجمع أوراقها ببطء، تحاول أن تطيل الوقت قدر الإمكان.

"بالمناسبة، رامي..." قالت سهى وهي تلتقط أحد دفاترها، "أردت أن أخبرك أن المشروع الذي قدمته في مادة العلوم كان مميزًا جدًا. فكرتك كانت عبقرية، وأسلوبك في العرض جعلنا جميعًا نفهمه بسهولة."

رفع رامي نظره نحوها بامتنان:

"شكرًا لكِ".

ابتسمت وقالت:

" هل يمكنك مساعدتي في مشروعي؟".

رد بكرم:

"طبعا، أنا في الخدمة".

في المقابل، كانت جوري تتابع الموقف من مكانها، حافظت على هدوئها، وأخذت هاتفها لتتظاهر بالانشغال، لكنها لم تستطع مقاومة إلقاء نظرات خاطفة باتجاه رامي وسهى. حاولت ألا تُظهر أي انزعاج، لكن حركة يديها السريعة وهي تقلب في الهاتف، والضغط الذي بدأ يظهر في طريقة جلوسها، كانا يعكسان شعورها الداخلي.

بعد أن جمعت سهى كتبها، شكرت رامي بابتسامة عريضة وغادرت ببطء، وكأنها تحاول أن تترك أثرًا خلفها. عاد رامي إلى مكانه بجانب جوري وساد صمت بينهما، حاول رامي أن يبدأ حديثًا، لكنه شعر أن الأجواء أصبحت مختلفة بعد تدخل سهى.

جوليا جولي.. من تكون؟!

اجتمع الطلبة في فترة الاستراحة في باحة المدرسة، يتحدثون عن شخصية جوليا الافتراضية التي أحدثت ضجة على وسائل التواصل بعد إطلاقها التحدي لمعرفة هويتها الحقيقية. بينما كانت ليلى وجوري تسيران بجانبهما، لمحت ليلى أحدهم يشير إلى هاتفه ويتحدث عن "جوليا"، قامت ليلى بسحب جوري:

"تعالي، أريد أن أسمع ما يقولونه عن جوليا".

ارتبكت جوري وقالت:

"لا أعتقد أن الأمر يعنيني".

فردت ليلى بإصرار وهي تتجه نحو المجموعة:

"أرجوكِ، دقيقة فقط".

انضمت ليلى إلى المجموعة، ووقفت جوري بجانبها، تحاول إخفاء ارتباكها.

قالت سهى:

"بصراحة، أنا أرى أن جوليا هذه شخصية معقدة. لماذا تتصرف بكل هذا الغموض؟ إذا كانت تريد أن يعرفها الناس، فلماذا تختبئ وراء الفلاتر والألغاز؟".

قالت نور الفتاة الثانية في شلة سهى:

"صحيح. كل هذا الغموض يجعلني أشعر وكأنها تتلاعب بالجميع فقط لجذب الانتباه".

قال سامر ساخرا:

"لا بد أنها تعاني من مشكلة ما ولا تجد من ينظر إليها".

ضحك الجميع بشكل مستفز بخاصة حين بدأت سهى تقلد شخصيه جوليا وتردد: "لا بد أنها تجلس خلف الشاشة وتقول: تعاطفوا معي.. أنا غريبة أطوار.. انظروا إلي.."

في هذه اللحظة، شعرت جوري بشيء يغلي داخلها، فلم تستطع التزام الصمت وقالت باندفاع:

" ليست كذلك أبداً!".

ثم أكملت:

"لدى جوليا أسبابها. قد تكون خجولة، أو تخشى أن يحكم الناس عليها. العالم ليس مكاناً سهلاً لتكشف فيه كل شيء عن نفسك".

ساد الصمت فجأة، والتفت الجميع نحو جوري، ينظرون إليها بنظرات مليئة بالدهشة والتشكيك. بعضهم رفع حاجبيه، والبعض الآخر تبادل النظرات بصمت.

ابتسمت سهى بمكر:

"انظروا من يدافع عنها بكل هذا الحماس! جوري، هل تعرفينها، يبدو أنك تخفين شيئاً عنا؟!".

قالت جوري بتوتر:

"لا تكونوا سخيفين. فقط لأنني أتعاطف معها فهذا يعني حرفيا أنني أخفي شيئا، لكن لكل شخص مبرراته".

نظرت إليها سهى بريبة

"دفاعك عنها يبدو شخصياً جداً. ربما هناك ما لا تريدين أن تخبرينا به.

أما رامي الذي كان يتابع النقاش بصمت فقال بضحكة بسيطة:

"أوه، يبدو أنكم تأخذون الموضوع بجدية أكثر مما يستحق. جوليا مجرد شخصية افتراضية، فلماذا تجعلونها قضية كبرى؟ ربما الهدف من كل هذا الغموض هو إثارة حماستكم ليس أكثر".

ردت سهى مشككة:

"وهل تعتقد أن هذا السبب كافٍ؟ جوليا تبدو وكأنها تعرفنا، وتكتب بطريقة تجعلنا نشعر أنها قريبة منا جدًا".

ابتسم رامي بثقة وقال:

"هذا ذكاء منها، أو منه، إن صحت العبارة. شخص يعرف كيف يجذب الانتباه بأسلوب بسيط وغير مباشر. لكن صدقوني، إذا كانت جوليا واحدة من بيننا، فآخر شيء ستفعله هو الرد على اتهاماتكم أو الدفاع عن نفسها".

تساءلت ليلى:

"ولما لا؟ إذا كانت قوية بما يكفي لإطلاق تحدٍ مثل هذا، لماذا لا تواجهنا؟".

فرد رامي بهدوء:

"لأن هذا سيفسد فكرتها. جوليا ليست بحاجة لإثبات أي شيء. إذا كانت حقيقية، فغموضها هو ما يجعلها مميزة. أما إذا كانت مجرد لعبة، فأنتم تضيعون وقتكم في محاولة كشفها".

حدقت فيه سهى وقالت:

"كلامك يوحي بأنك تعرف شيئًا عنها، أو ربما... أنك أنت جوليا؟".

ضحك رامي بسخرية:

"أنا؟ جوليا؟ لا أعتقد أنني أملك الصبر لصنع كل هذه الضجة. لكن فكرتك طريفة. ربما عليّ أن أجرب هذا النوع من التحديات يومًا ما".

نظرت المجموعة لبعضها بحيرة، وبدا أن كلام رامي نجح في تشتيت الشكوك. أما جوري التي توقف نظرها عند رامي فقد مضى عقلها بعيدا، ورغم شعورها المؤقت بالراحة بعد إدراكها أن رامي كان يحميها دون أن يكشف سرها، إلاّ أنها تساءلت في الوقت نفسه: "هل يعقل أن رامي يعرف الحقيقة؟!"

.....

بعد انتهاء النقاش بين المجموعة، تقدمت سهى نحو رامي الذي كان قد بدأ يبتعد عن التجمع؛ نادته:

"انتظر؛ لدي إحساس قوي أن لجوري علاقة بجوليا".

نظر إليها قائلا:

"حقًا؟ وما الذي جعلكِ واثقة إلى هذا الحد؟".

ردت سهى بثقة:

"الطريقة التي دافعت بها عن جوليا... كانت شخصية جدًا. وكأنها تعرفها عن قرب، لا أحد يتصرف هكذا ما لم يكن لديه سبب قوي".

قال رامي بلا مبالاة:

"أو ربما هي فقط شخص يتعاطف مع فكرة مختلفة. ليس كل شيء يحدث هو مؤامرة".

اقتربت منه سهى وقالت:

"لا تحاول التهرب. أنا متأكدة أن هناك شيئًا غريبًا وسأثبت لكَ ذلك قريباً".

تنهد رامي بملل:

"حسنًا، افعلي ما تريدين، لكنني لا أرى أن الأمر يستحق كل هذا العناء. جوليا مجرد شخصية على الإنترنت، لماذا تجعلينها قضية حياتك؟".

قالت:

"لأنني لا أحب الغموض، ولا أستطيع تجاهل شعوري. هناك شيء غريب، وأنا سأكشفه".

هزّ رامي كتفيه بلا اكتراث:

"بالتوفيق".

غادر رامي المكان وهو يظهر عدم اهتمامه بالموضوع، لكنه في داخله شعر بالتوتر متسائلا:

"هل يمكن أن تقترب سهى من كشف الحقيقة؟!"

سرّ صغير

عادت ليلى إلى البيت بعد يوم طويل في المدرسة، شعرت بأفكار كثيرة تتدافع في رأسها مستعيدة حوار الطلبة حول شخصية جوليا جولي، فكرت للحظة أن جوري تخفي أمراً ما، لكنها سرعان ما استبعدت هذه الفكرة، وأخبرها حدسها أن صديقتها لن تخفي عنها شيئًا، لكن ذلك الحدس تراجع قليلا حين تذكرت أنها هي أيضا تخفي أمر عماد عن جوري!

دفعت الباب ببطء، ألقت التحية على والدتها، رمت الحقيبة جانبًا عند مدخل غرفتها، واندفعت نحو سريرها دون حتى أن تخلع حذاءها. تسابقت التنبيهات من هاتفها بمجرد اتصالها بالإنترنت وتوافدت الكثير من الرسائل:

جوري:

"عندي نكتة رائعة يجب أن تسمعيها".

نور:

"ليلى أرسلي لي آخر درس في الفيزياء".

وغيرها من الرسائل التي تجاهلتها عندما انتبهت لرسالة من عماد:

"مساء الخير يا ليلى! كيف كان يومك؟ اشتقتك".

لقد تحولت مراسلات عماد لليلى إلى روتين يومي؛ يرسل لها اقتباسات ملهمة من الكتب، ويشاركها أفكاره عن الحياة، وكأنهما يعرفان بعضهما منذ سنوات. جعلها عماد تشعر أن هناك أخيرًا شخصًا يفهمها وتحدثه عن كل شيء. كان يتسلل إليها بمراسلات دافئة ولطيفة يحاول من خلالها التلميح إلى أهمية وجودها في حياته.

.....

في تلك الليلة وبعد مراسلات طويلة بينهما سألها عماد قائلاً:

- ليلى هل لديكِ أشياء تحتفظين بها لنفسك فقط، ولا يمكن أن تخبريها لأي شخص آخر؟

- نعم، لدي أشياء كثيرة أحب أن أحتفظ بها، وأنت؟

- في الحقيقة لدي مشكلة خاصةً معك، فأنا أشعر أنني يمكنني أن أقول لك أي شيء دون خوف، لكن هناك شيئًا لم أستطع أن أخبر أحداً به لأنني أشعر أنه خاص بي ويمنحني الكثير من السعادة؟

-ما هو؟

-علاقتنا؟ صمت قليلا ثم أضاف: **"ماذا عنكِ؟ هل أخبرت أحداً؟"**

ردت ليلى:

"هل يجب أن يبقى الأمر سراً؟".

أكد لها:

"أعتقد أن ما يميز علاقتنا هو أنها شيء خاص بنا وحدنا، وأيضا الناس لا يفهمون العلاقات الافتراضية، وقد يظنون أنها غير جدية، لكن نحن نعرف حقيقتها، ولا نحتاج أن نثبت لأي شخص آخر ما نشعر به."

صمتت ليلى واكتفت بإرسال إيموجي ضمة ورد، أغلقت الهاتف ورمته بعيدا. قضت فترة المساء تفكر في كلماته: "لماذا لا يريدني عماد أن أخبر أحدا بعلاقتنا؟ أليس من الجميل أن نتحدث عنها مع أصدقائنا؟"

وبعد لحظات تراجعت: "ربما معه حق.. لن يفهم أحد طبيعة هذه العلاقة ونحن فقط من نعرف قيمتها ومدى صدقها حتى لو كانت في حدود هذا العالم الافتراضي".. وبعد تفكير طويل تناولت هاتفها وأعادت تشغيله لتتواصل مع نظام الذكاء الاصطناعي. سألته:

"هل تعتقد أنه من الجيد أن نتحدث عن علاقاتنا العاطفية أمام الآخرين؟".

فأجاب:

"إذا كانت العلاقة ما زالت في بداياتها أو تحتاج إلى مزيد من الوقت للتأكد من استقرارها، يمكنك الانتظار حتى تكون أكثر وضوحًا بالنسبة لك"..

في الحقيقة لقد قدم لها إجابات كثيرة ترتبط بعوامل مختلفة، لكن كانت هذه هي الإجابة الوحيدة المستعدة لسماعها.

كل شيء مربع

في زحمة المقصف المدرسي، جلست ليلى وجوري على طاولة قريبة من النافذة، تحاولان الابتعاد عن أصوات الطلبات المتداخلة. أمامهما صينية بلاستيكية تحمل قطعًا من البيتزا المربعة، وهي وجبتهما المفضلة في فترة الراحة.

قالت جوري وهي ترفع قطعة البيتزا وتنظر إليها بعين ناقدة:

"غريب كيف يمكن لبيتزا مربعة الشكل مع بعض التونة أن تكون لذيذة. أليست البيتزا دائريّة بطبيعتها؟".

ردت ليلى:

"هل توقف الأمر على قطعة البيتزا؟ ألا تلاحظين أن كل شيء حولنا أصبح مربعا.. شاشات هواتفنا.. وحتى عقولنا!".

ضحكت جوري وهي تلوح بقطعة البيتزا في الفضاء ثم قالت:

"إذا اخترت أن يكون عقلك مربعًا فعلى الأقل طوّريه بقليل من جبن الموزاريلا".

انفجرت ليلى ضاحكة وعلقت:

"تخيلي أن تكون عقولنا فعلا مربعة سيكون الأمر مريحا.. كل الأفكار سنرتبها مثل المكعبات".

ردّت جوري:

"يكفينا بعض الأشخاص في حياتنا الذين ترتطم أفكارهم عن جيلنا في زوايا ثابتة في عقولهم وهم ينظرون إلينا من منظور تقليدي".

وبينما كانتا تضحكان وضعت ليلى قطعة البيتزا ومسحت يديها بمنديل ثم أخذت نفسا عميقا وقالت بصوت جَديّ:

"جوري، هل تعتقدين أننا كجيل جديد يجب أن نفكر كما كان آباؤنا يفكرون؟".

ابتسمت جوري وقالت:

"لم أفهم سؤالك بشكل واضح، لكنني أعتقد أننا نعيش في بيئة مختلفة وتقنيات جديدة، مثلا بالكاد أستطيع كتابة واجباتي دون إنترنت.. فلا يمكنني التفكير مثلهم!".

ضحكت ليلى ثم واصلت:

"لا أعني هذا، أقصد أننا عندما نعيش مشاعر تجاه شخص تعرفنا عليه عبر الإنترنت، هل علينا أن نقلق لأن هذا النوع من العلاقات لم يكن موجودا في أيامهم؟".

وضعت جوري قطعة البيتزا جانبا، وكأن السؤال جاد بما يكفي للفت انتباهها كاملا:

"إممم إذا عدنا إلى التفكير التقليدي فإنه يقول إن العلاقات الحقيقية تحدث في الواقع حيث يمكن أن نرى الشخص ونشعر بوجوده، لكننا جيل مختلف، حياتنا كلها افتراضية تقريبا. أعتقد من الطبيعي أن تكون لنا مشاعر افتراضية أيضًا".

هزت ليلى رأسها:

"لكن هل هذا كافٍ؟ إذا كنت أشعر أنني أستطيع فهم شخص ما عبر شاشة ألا يجعل هذا المشاعر أقل واقعية؟".

أخذت جوري نفسا عميقا وقالت:

"ربما نحن بحاجة إلى طريقة جديدة للتفكير، ليس كل ما عاشه آباؤنا هو الأصح حرفيا، لكن ليس كل شيء افتراضي يمكن الوثوق به أيضًا. يمكننا أن نصنع أسلوبنا الخاص، شيء بين التقليدي والجديد."

ابتسمت ليلى وردت بهدوء:

"ربما علينا أن نُخرج عقولنا من تلك المربعات التي وُضعت فيها، سواء كانت مربعات التفكير التقليدي... أو شاشات هواتفنا."

نظرت جوري إلى ليلى ورفعت حاجبها الأيمن وقالت ممازحة:

"الآن أخبريني يا ليلى ما هذا التحقيق العاطفي هل وجدت فارس أحلامك في قائمة أصدقائك على فيسبوك؟ لماذا كل هذه الأسئلة عن الحب والمشاعر الافتراضية؟".

ضحكت ليلى بخجل وأجابت وهي تنظر إلى طاولتها:

"لا شيء... مجرد تساؤلات. تعلمين أنني أفكر كثيرا في هذه الأمور، موضوع عادي خطر على بالي".

.....

"ليلى ليست على طبيعتها" هذا ما فكرت فيه جوري؛ تبدو وكأنها تحمل عبئا ثقيلا لا تريد أن تشاركه مع أحد؛ "هل يمكن أن تكون وقعت في مشكلة؟"، سألت جوري نفسها وهي تشعر بقلق يتسلل إلى صدرها. "ربما شيء له علاقة بالمدرسة؟"، لا، ليس هذا النوع من التعبير الذي تراه على وجه ليلى. إنه أعمق.. وأشد تعقيدًا. هل يمكن أن تكون هذه مسألة عائلية؟ ربما شيء يتعلق بشخص ما؟

نظرت جوري إلى ليلى التي كانت تحرك قطعة البيتزا الأخيرة على الصحن دون أن تأكلها ثم قالت:

"فكري دائماً في نفسك أولاً قبل أن تقومي بأي خطوة، هل تشعرين بالأمان؟ هل تثقين بما يحدث؟ إذا شعرتِ ولو للحظة أن الأمور ليست على ما يرام، فتراجعي، صداقتنا هنا لتذكيرك بأنك لستِ وحدك، أوك؟".

حاولت ليلى الرد، لكن جوري وضعت يدها على كتفها وأكملت بابتسامة مطمئنة:

"وأيضًا، إذا كنتِ تحتاجين محققًا خاصا لكشف أي شيء، فأنا هنا. لديّ مهارات استجواب مكتسبة من متابعة الأفلام البوليسية، قالت هذا ووجهت لها قلبا شكلته بتقاطع بين سبابتها و إبهامها..

ضحكت ليلى، وتذكرت كلمات عماد بضرورة بقاء الموضوع خاص بينهما، فلم تخبر جوري بشيء.

عام جديد.. وردة جديدة

استيقظت جوري على لمسات دافئة فوق كتفها وصوت والدتها يناديها بلطف:

"صباح الخير يا حبيبتي".

فتحت عينيها ببطء لترى وجه والدتها المبتسم.

"صباح الخير ماما..." قالت جوري بصوت ناعس، وهي تمط جسدها.

ابتسمت الأم، ثم قدمت لها وردة وقالت:

"هذه وردتك لهذا العام، يا أجمل وردة في حياتي. كل عام وأنتِ بألف خير".

كانت هذه اللحظة جزءاً من تقليد سنوي، تؤكد فيه الأم لجوري أنها مثل الوردة تنمو وتزداد جمالاً كل عام..

أخذت جوري الوردة بين يديها برفق، وقرّبتها من أنفها لتستنشق عبيرها العذب؛ "شكراً ماما" قالت بابتسامة صادقة وهي تحتضن والدتها التي همست لها:

"اليوم ليس يومًا عاديًا يا جوري، إنه يومك، يوم مميز ويجب أن تحتفلي بكل تفاصيله الصغيرة والكبيرة."

قفزت جوري بحماسة من سريرها، فتحت درج مكتبها وأخرجت دفتر ذكرياتها. قلبت صفحاته حتى وصلت إلى المكان الذي جمعت فيه الورود التي أهدتها لها والدتها منذ عامها الأول. أخذت تعد الورود بفرح؛ ستّ عشرة وردة تزين الدفتر، كل واحدة تحمل ذكرى من عام مضى.

أحضرت كأسًا شفافا ملأته بالماء ثم غمست ساق وردة هذا العام برفق في الماء الذي مزجت معه قليلا من السكر ثم همست لها:

"هكذا ستعيشين معي وقتا أطول".

.....

في المدرسة، وبينما كانت جوري تجلس في الساحة خلال فترة الاستراحة، شعرت فجأة بحركة غير معتادة من حولها. وقبل أن تستوعب ما يحدث، ظهر زملاؤها بشكل مفاجئ، حاملين بالونات ملونة وكعكة صغيرة مزيّنة بشمعة. اتسعت عينا جوري وتجمدت في مكانها واضعة يديها على فمها محاولة احتواء مشاعرها، كانت ليلى تقود هذا المشهد بحماسة كبيرة. ارتفع صوت ضحكة صغيرة من جوري، امتزجت بفرحة خجولة، وهي تقول بصوت مرح:

"هذا... لي أنا؟".

أومأ أصدقاؤها وقالوا:

"مفاجأة! عيد ميلاد سعيد يا جوري!".

قالت ليلى:

"هل كنتِ تظنين أننا سننسى يومك المميز؟".

وقبل أن تطفئ الشمعة قال رامي:

"لا تنسي أن تتمني أمنية أولاً".

نظرت إليه جوري بخجل وقالت:

"طبعا سأفعل.. ".

فبادرتها ليلى:

"أرجو أن تتمنى لي النجاح، لا تكوني أنانية".

ضحك الجميع بينما انتبهت جوري إلى أنها لا تحمل هاتفها فقالت بأسى:

"للأسف لن نتمكن من التقاط صورة، هاتفي معطل."

.....

حين غادر الجميع الحفل الصغير، ابتسمت ليلى وأخرجت هاتفها من حقيبتها. هزته بمرح أمام وجه جوري وقالت:

"لا بدّ من صورة لي ولك توثق اللحظة، يمكننا استخدام هاتفي!"

توقفت جوري لبرهة، وقد تحولت عيناها إلى علامة استفهام كبيرة. لم تتخيل يوما أن تلتقط صورة بهاتف غير هاتفها الخاص. نظرت إلى هاتف ليلى ثم إلى وجهها المبتسم، وشعرت بتردد غريب، لكنها أدركت أن رفض عرض ليلى سيكون أنانيا وقد يجرح مشاعرها.

قالت أخيرا:

"حسنًا، لكن بشرط؛ إذا لم تعجبني الصورة، عليكِ مسحها."

ضحكت ليلى وأكدت بحماس:

"ستعجبك، سأستخدم الفلتر الذي تستخدمينه دائما".

اقتربت ليلى من جوري، وضعت يدها فوق كتفها ومدت الأخرى التي تحمل الهاتف. وبإيماءة صغيرة، اختارت الفلتر الذي اعتادت جوري استخدامه.

شعرت جوري بشيء مختلف هذه المرة. كان خيط من الاطمئنان يسري في قلبها، بينما ظهر الأمل في عيني ليلى. ضغطت ليلى زر الكاميرا، وتوقفت لبرهة لتريها الصورة.

"لاااا لم تعجبني" صاحت جوري.

قالت ليلى:

"حسن سألتقط صورة أخرى"..

"دعينا نراها الآن" قالت ليلى "انظري صورة رائعة"..

قربت جوري ملامح وجهها في الصورة وقالت:

"لم تعجبني هذه أيضا امسحيها".

"أووووه" قالت ليلى باستياء: "لا أدري لما لا تعجبك صورك دائما؟!".

تنهدت جوري، ثم همست وهي تغرق في موج أفكار تلاطمت في ذهنها:

"لا أعرف، أشعر دائما أنني لست جميلة بما يكفي، شكل أنفي وشفاهي.. كم أتمنى أن أبدو مثل المؤثرات على تطبيقات التواصل الاجتماعي."

نظرت إليها ليلى وقالت:

"أنت جميلة.. جميلة جدا يا جوري".

قالت جوري وهي تتنفس بعمق:

"أنت تقولين هذا لأنك صديقتي"، ثم أكدت قبل أن تغادر: "المهم لا تنسي محو الصورة من هاتفك فلن أحتاجها سأكتفي بنشر صورة الكيكة فقط".

ترددت ليلى في الرد، ثم تجاوزت الموضوع قائلة وهي تجمع أغراضها:

"سأذهب الآن، نلتقي في الصف".

صورة تنهي صداقة

استلقت ليلى على سريرها وهي تتصفح الصور التي التقطتها خلال اليوم، تنقلت بين الصور؛ واحدة للكيكة وأخرى للمجموعة وهم يضحكون، وأخيرا صورة لها مع جوري، توقفت عند الأخيرة، وقامت بتقريب الصورة ثم إرجاعها مرة أخرى، متأملة ملامح صديقتها.

تساءلت ليلى:

"لماذا لم تعجبها الصورة؟ إنها تبدو جميلة جدًا."

ظلت تحدّق في الصورة للحظات، تتأرجح بين رغبتها في نشرها وترددها. كانت تعلم أن جوري تعاني من مشاعر عدم الثقة بنفسها، لكنها أرادت أن تُظهر لها أن مخاوفها مجرد أوهام. فكرت للحظة:

"ربما إذا رأت كيف يراها الآخرون، ستشعر بالتحسن."

حسمت أمرها وقررت أن تنشر الصورة على حسابها في "تيك توك". اختارت تعليقًا بسيطًا: "كل عام وأنت بألف خير يا أجمل صديقة."

وبينما كانت تنتظر ردود الفعل، شعرت ببعض القلق. ماذا لو انزعجت جوري منها؟ ولم تمضِ دقائق حتى بدأت التعليقات تظهر.

"كم أنتما جميلتان! عيد ميلاد سعيد يا جوري"،

"الصور رائعة 😍"

قرأت ليلى التعليقات الواحد تلو الآخر، وشعرت بالارتياح وهي ترى القلوب تتطاير إعجابا بالصور. ربما كانت هذه الخطوة الأولى لمساعدة جوري على رؤية نفسها بعين أخرى، وضعت الهاتف جانبا ثم نامت.

في الصباح استيقظت ليلى على اتصالات كثيرة ورسائل غاضبة من جوري تطلب منها محو الصورة بسرعة

استغربت ليلى من طلب جوري ففتحت الصورة وبدأت تقرأ آخر التعليقات:

علق أحدهم:

من هذه التي على اليمين؟ 😂

وتعليق من سهى:

"أنف جوري يبدو وكأنه لا يتناسب مع ملامح وجهها في الصورة! 😂"

وعلقت أخرى:

"ليلى، هل هذه أفضل تسريحة شعر لديك ! 😂"

شعرت ليلى بالصدمة والغضب وقامت بمحو الصورة مباشرة.

.....

عندما قابلت ليلى جوري في المدرسة كانت الأخيرة غاضبة ومنزعجة جدا، صرخت بوجهها:

"لماذا نشرتِ الصورة دون أن تسأليني؟ هل رأيتِ التعليقات؟ الجميع يسخرون من شكلي".

ارتبكت ليلى:

" أنا آسفة جوري ولقد سخروا مني أيضا، لكن لا يهمني رأيهم، أنا أردت فقط أن أُريكِ كم أنتِ جميلة من وجهة نظري."

قاطعتها جوري بغضب:

"جميلة؟ كيف يمكن أن أكون جميلة وهم يسخرون مني هكذا؟ كان يجب أن تخبريني قبل أن تنشريها!"

شعرت ليلى بالحزن والذنب. حاولت التحدث إلى جوري، لكنها كانت غاضبة لدرجة أنها استدارت وغادرت دون أن تكمل الحديث.

بعد عودتها إلى البيت راسلت ليلى عماد فهو ملاذها عندما تحتاج إلى شخص تثق به. أرسلت له رسالة مطولة تحكي فيها ما حدث:

"عماد، لا أفهم لماذا تصرفت جوري معي بهذا الشكل، أردت فقط أن أُظهر لها كم هي جميلة، حتى بدون فلاتر. جوري لا تنشر صورها كثيرا، ودائما تستخدم الفلاتر أو تكتفي بنشر صور ليديها أو لأغراضها. كنت أحاول فقط مساعدتها وجعلها ترى جمالها الحقيقي، لكن الأمور سارت بالعكس."

رد عماد سريعًا:

"ليلى، أستطيع أن أفهم مشاعرك. أنتِ حاولتِ المساعدة، لكن ربما جوري ما تزال غير مستعدة لتقبل ذلك."

أجابت ليلى:

"أعلم، لكن أشعر وكأنني جعلت الأمور أسوأ. لا أريد أن تفكر أنني كنت أحاول إحراجها."

قال عماد:

"لا تقلقي، نواياك كانت جيدة، وهذا الأهم". ثم أضاف **"ربما هي ترى بأنها ليست جميلة دون فلتر لذا تصر على استخدامه، بعض الناس يبدون أكثر جمالاً في الواقع مقارنة بالصور".**

قالت ليلى: **"بالعكس إنها جميلة جدا حتى بدون فيلتر "**

رد عماد كما لو أنه يفكر:

"مممممم، هل يمكنني أن أراها دون فيلتر؟".

قالت ليلى:

"ليس لدي صورة لها دون فيلتر."

رد عماد:

"لا بأس" ثم واصل**: "يجب أن تعلمي يا ليلى أن رؤيتك لجمال جوري الحقيقي هو دليل على حبك لها كصديقة والأكيد أن الوقت سيُساعدها على فهم نواياك"**

" أرجو أن تفهم جوري ذلك 😢" بعثت له ليلى،

وبعد لحظات وصلتها رسالته **"وأنتِ، ألن تبعثي لي صوراً لك؟"**

"صوري موجودة على حساباتي، أعتقد أنك رأيتها" ردت ببراءة.

طلب منها عماد: **"أريد صوراً خاصة لي، تلتقطينها من أجلي فقط، ألا يحق لي ذلك.. إلاّ إذا كنتِ لا تثقين بي بعد".**

سؤاله الأخير جعلها تواجه نفسها؛ هل وصلت بالفعل لمرحلة الثقة بشخص بالكاد تعرف عنه شيئاً؟! لكنها حين استرجعت حوارتهما وطريقته اللطيفة في الحديث معها بدا لها طلبه معقولاً، كتبت له: **"سأحاول أن أرسل لك صورا خاصة لي.. أترك لي فقط وقتاً لاختيار المناسب".**

وصلتها منه رسالة فيها قلوب حمراء تومض بمحبة.

شعرت ليلى ببعض الراحة بعد حديثها مع عماد، لكنها ظلت تفكر في كيفية إصلاح الأمور مع جوري. كانت تعلم أن هذا سيتطلب المزيد من الصبر والاهتمام.

وجه يدفع للسخرية

جلست جوري على السرير تنظر إلى هاتفها الذي كان يرن باتصال من ليلى لكنها لم تتحرك للرد، نظراتها جامدة، وكأنها تنظر إلى شيء لا يُرى خلف شاشة الهاتف. في أعماق ذهنها، كانت التعليقات القاسية تتردد كصدى لا ينقطع، تتخللها وجوه الإيموجي الساخرة التي بدت وكأنها تطل من كل زاوية في الغرفة. شعرت جوري فجأة وكأن الجدران تضيق من حولها، وتحاصرها. دفعت الهاتف بعيدًا بحركة مفاجئة، محاولة إطفاء تلك الضوضاء. وضعت يديها على أذنيها، تضغط عليهما بقوة، في محاولة يائسة لحجب الكلمات والوجوه الساخرة التي لم تعد مجرد صور على الشاشة، بل أصبحت ضجيجًا يملأ رأسها.

وبعد لحظات أزاحت يديها ببطء، ثم تحركت نحو المرآة المثبتة على خزانتها. توقفت أمامها تنظر إلى انعكاس وجهها، وكأنها تحاول أن ترى ما يراه الآخرون فيها. مررت أصابعها على وجهها، توقفت عند وجنتيها، ثم أنفها وشفتيها، وكأنها تعيد اكتشاف كل تفاصيلها قبل أن تغمرها دوامة الأسئلة: "هل أنا حقا بشعة؟ مالذي يجب أن يتغير في شكلي لأبدو جميلة؟! لماذا يجب أن أكون موضوعًا للسخرية؟ لماذا لا أستطيع أن أكون جوليا تلك النسخة مني التي صنعتها بنفسي؟".. فكرت للحظة وهي تنظر إلى انعكاسها في المرآة. وجهها بدا لها وكأنه مزيج بين ملامحها الحقيقية وصورة جوليا التي صنعتها.

وبينما كانت غارقة في تلك الدوامة من الأسئلة والمشاعر المتشابكة، انفتح الباب بهدوء، ودخلت والدتها تحمل فنجانًا من الشاي. نظرت إليها للحظة، ثم وضعت الفنجان على الطاولة بجانب المرآة. تقدمت منها بخطى بطيئة وقالت بصوت دافئ:

"هل أنت بخير حبيبتي؟".

ردت جوري بهدوء:

"لماذا لا يمكننا تغيير ملامحنا وأشكالنا كما نشاء؟ لماذا علينا أن نعيش بوجه يجعلنا هدفًا للسخرية؟".

وضعت الأم يديها على كتفي جوري ونظرت إلى انعكاسهما في المرآة وقالت:

"حبيبتي، الجمال الحقيقي لا يتعلق بتغيير ملامحنا، بل في كيفية شعورنا تجاه أنفسنا. لا يوجد إنسان كامل، والجميع يرى أشياء في نفسه يتمنى أن يغيرها. لكن هذه التفاصيل الصغيرة هي ما يجعلنا فريدين".

ثم أضافت:

"أستطيع أن أقول لك أنك جميلة لكني أريدك أنت أن تشعري بذلك".

تنهدت جوري وقالت:

"لكن ماما.. تعليقات الناس..".

وقبل أن تكمل قاطعتها والدتها:

"تعليقات الناس ليست مرآتك، يا جوري. مرآتك هي نفسك، هي ما ترينه عندما تنظرين إلى داخلك. لا أحد يستطيع أن يملي عليكِ كيف تشعرين بجمالك. أنتِ وحدك من تملكين هذه القوة..وأنا أريدك أن تكوني قوية"

ثم قالت وهي تمسح على رأسها: "هيا اشربي الشاي أحضرت لك معه الفول السوداني كما تحبين".

.....

غادرت الأم الغرفة بينما جلست جوري على الأرض متكئة على الخزانة شابكة ذراعيها حول ركبتيها تفكر في كلام والدتها، لكن التعليقات ظلت تطاردها وتجعل من المرآة وحشا يلاحقها.

قطع هذا الجو الكئيب صوت إشعار قادم من هاتفها. نظرت إلى الشاشة، كان إشعارا من حسابها الافتراضي "جوليا جولي".

بلمسة سريعة، فتحت الإشعار وبدأت تتفقد التعليقات على الصورة الأخيرة التي نشرتها. الصورة تُظهرها باستخدام أحدث فلاتر التجميل. وصلتها الكثير من رسائل الإعجاب والتعليقات المشجعة وكلّها تمدح جمال جوليا ومنشوراتها، تناغمت الكلمات مع ضربات قلبها المتسارعة وهي تأخذها تدريجيًا إلى عالم جوليا، حيث يبدو كل شيء أكثر جمالاً.

لم تشعر بالوقت وهي تتنقل بين الرسائل، وكأنها دخلت في حالة من الاندماج التام مع هذا العالم الافتراضي. فجوليا بالنسبة لها أكثر من مجرد صورة؛ كانت نافذة إلى حياة أخرى، حياة بلا أحكام أو نظرات قاسية. غمرت الشاشة وجهها بضوئها، ومعها ارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتيها.

مكالمة فيديو

منذ عودتها من المدرسة حاولت ليلى أن تشغل نفسها بأي شيء، حاولت التواصل مع جوري مرارا لكن دون فائدة. كانت علامات التوتر بادية على ملامحها؛ وعيناها تتحركان بسرعة بين الشاشة وما حولها. بدأت في سحب الشاشة إلى الأعلى والأسفل، متنقلة بين الفيديوهات القصيرة بلا اهتمام حقيقي بما تشاهده. تارة تفتح "التيك توك"، وتارة أخرى تنتقل إلى "الانستاغرام"، لكن أياً من ذلك لم ينجح في تهدئتها.

كلّما رنّ هاتفها أو ظهر إشعار، رمقت الشاشة بقلق، لعلها رسالة أو رد من جوري، لكن لا شيء. ضغطت ليلى على زر الاتصال مرة أخرى، لكن صوت الهاتف استمر بالرنين دون إجابة. أغلقت المكالمة واتجهت إلى غرفة الجلوس محاولة أن تنسى ما حدث لكنها وجدت نفسها مرة أخرى تمسك بهاتفها، وكأنها تأمل أن تجد رسالة جديدة أو أي علامة تدل على أن الأمور قد عادت إلى طبيعتها.

.....

في صباح اليوم التالي استيقظت ليلى على صوت المنبه لكنها لم تستطع الوقوف؛ كانت تشعر بثقل في جسدها؛ حاولت النهوض من السرير لكن دواراً حاداً أعادها إلى وسادتها. بينما كانت تحاول استجماع قواها، دخلت والدتها إلى الغرفة:

"ألم تستيقظي بعد، ستتأخرين عن المدرسة".

ردت ليلى بصوت متعب:

"لا أستطيع ماما.. أشعر أنني متعبة وحرارتي مرتفعة".

اقتربت والدتها منها، وضعت يدها على جبينها لتتحقق من حرارتها:

"أووه.. حرارتك مرتفعة جداً".

أحضرت والدتها على الفور ميزان الحرارة، وذهبت إلى المطبخ لإعداد مشروب ساخن. عادت بعد دقائق تحمل كوبا من الأعشاب الدافئة وقالت:

"اشربي هذا حبيبتي وارتاحي سأتواصل مع المدرسة، وسآخذ موعدًا عند الطبيب".

"شكرا ماما" تمتمت ليلى بصوت ضعيف وتناولت الكوب بيد مرتعشة، جلست والدتها بجانبها للحظة تمسد رأسها وتطمئنها: "إن شعرت بأي شيء، ناديني فورا".

.....

بعد أن غادرت والدتها الغرفة وصل إشعار على هاتف ليلى. كانت رسالة عماد الصباحية:

"صباحك سعيد ليلى الجميلة".

أرادت الرد سريعًا كما تفعل دائمًا، لكنها لم تستطع رفع هاتفها إلا بعد جهد. مرت لحظات قبل أن تصلها منه رسالة أخرى:

"أين أنتِ؟ هل كل شيء بخير؟".

تحاملت على نفسها هذه المرة وكتبت:

"اعتذر منك عماد، أنا مريضة جداً ولا أستطيع التحدث".

فوجئت ليلى بعد لحظات باتصال فيديو من عماد. كانت هذه المرة الأولى التي يتصل بها بهذا الشكل. ترددت وهي تنظر إلى صورتها في شاشة الهاتف. كانت ترتدي ملابس النوم، شعرها مبعثر ووجهها شاحب. لكن إحساسها بحاجتها إلى التحدث معه غلب ترددها. حاولت تنظيم شعرها بسرعة اختبرت ابتسامتها المتعبة أمام الكاميرا ثم ضغطت على زر الإجابة، ليظهر لها عماد على الشاشة ويحدثها بصوت حنون:

"ليلى، تبدين متعبة جداً. هل زرتِ الطبيب؟ هل تحتاجين إلى أي مساعدة".

ردت بصوت متعب:

" لا شكراً عماد، كل شيء بخير، أحتاج فقط لبعض الراحة".

قبل أن ينهي المكالمة، توقف للحظة ونظر إلى الشاشة مبتسما وقال:

"حتى وأنت مريضة تبدين جميلة".

احمر وجه ليلى خجلًا، وشعرت بدفء غريب يملأ قلبها. شكرت عماد بابتسامة لطيفة، ثم أنهى الاتصال بعد أن طلب منها أن ترتاح وتعتني بنفسها.

بعد دقائق قليلة، بدأت رسائل تصل إلى هاتفها من زملائها في المدرسة. يسألون عن سبب غيابها، شعرت ليلى بالامتنان والراحة لاهتمامهم. لكنّ حزنا عميقا انتابها عندما انتبهت إلى أن جوري لم تراسلها لتسأل عنها؛ "هل يعقل أن جوري تعتقد فعلاً أنني تعمدت وضع صورتها لأجعلها عرضة للتنمر"، تساءلت ليلى وهي تفكر في طريقة تمكنها من الحديث مع جوري وشرح موقفها؛ "يجب أن أحاول" همست لنفسها وهي تستسلم للنوم مجددًا.

تفاصيل صغيرة

احتدم الجدل في المدرسة حول الشخصية الافتراضية "جوليا" التي أصبحت حديث الجميع بعد بثها المباشر الذي اعتمدت فيه على فلتر حولها إلى صورة كرتونية بالكامل، ممّا أثار فضولًا واسعًا وتساؤلات كثيرة حول هويتها الحقيقية. الفلتر لم يغير شكلها فقط، بل صوتها أيضاً، مما جعل تتبع حقيقتها أمرًا صعباً.

رامي، الذي كان متأكدًا أن جوري هي جوليا الافتراضية، وقف مع المجموعة يراقب الحوار الدائر بهدوء دون أن يعبر عن رأيه، ففي أحد مقاطع جوليا لاحظ رامي تفصيلًا صغيرًا في البداية لكنه كان كافيًا ليشعل شكوكه حيث ظهرت في الخلفية "وردة الرمال"، تلك الوردة التي أهداها لجوري بعد زيارته للصحراء. لم يصدق عينيه لحظتها، فأعاد مشاهدة المقطع مرارًا، ثم قام بالتقاط لقطة شاشة ليكبر الصورة أكثر حتى يتأكد من التفاصيل الدقيقة للوردة.

"من المستحيل أن تكون صدفة..." تمتم لنفسه يومها.

فضوله قاده إلى الغوص في تفاصيل حساب جوليا. يقرأ منشوراتها، ويدقق في تعليقاتها بحثًا عن إشارات أخرى قد تربطها بجوري، حتى صادف إحدى منشوراتها:

"فيلتر سيجعلكِ حرفياً مختلفة".

لم يكن هذا هو المنشور الوحيد الذي كتبت فيه جوليا كلمة **"حرفياً"**؛ ضحك رامي وهو يقرأ منشوراتها؛ وهو الذي يحب تكرار جوري الدائم لهذه الكلمة في حديثها، تلك الكلمة كانت تمثل جزءًا من شخصيتها وميزة تجعلها مختلفة عن الآخرين بالنسبة لرامي الذي يحب فيها عفويتها، وطريقتها الفريدة في التعبير. لكن مع ذلك، كانت هناك أسئلة لا يجد لها إجابات: لماذا قد تختار جوري إنشاء حساب كهذا؟ ما الذي دفعها إلى استخدام الفلاتر والظهور بهوية مختلفة؟ هل كان ذلك بحثًا عن حرية ما، أم أنها كانت تحاول إظهار جانب من شخصيتها لم يكن الآخرون يرونه؟

كان يعلم أن جوري نادرًا ما تنشر صورًا واضحة لها، وغالبًا ما تعتمد على زوايا جانبية أو فلاتر لإخفاء ملامحها، لكن الأمر هنا بدا وكأنه يتجاوز مجرد حب للفلاتر.

.....

في اليوم التالي، قرر رامي أن يختبرها بطريقة غير مباشرة. اقترب منها أثناء استراحة المدرسة وقال:

"غريب كيف أصبحت جوليا مشهورة بهذه السرعة. يبدو أن الجميع مهووسون بها!".

ابتسمت جوري وهي تنظر إليه وقالت:

"صحيح، يبدو أن الغموض يجذب الناس دائمًا."

أردف رامي بنبرة مازحة:

"لكن الغموض أحيانًا يكون مكشوفًا جدًا... حرفيًا، إذا كنت تعرف ما تبحث عنه."

ضحكت جوري وقالت:

"مثل ماذا؟ ماذا يمكن أن يكشف غموض شخصية افتراضية؟".

رد عليها مبتسما:

"بعض الهدايا الخاصة، بعض الكلمات المميزة التي تبدو مكشوفة لدى من يهتم".

توقفت جوري للحظة، وكأنها تفكر في كلماته، ثم قالت بنبرة مرحة:

"أعتقد أنك تقضي حرفياً وقتًا طويلًا في تحليل أشياء صغيرة جدًا".

ابتسم رامي وقال:

"ربما... لكن التفاصيل الصغيرة دائمًا ما تكشف الحقائق الكبيرة. أليس كذلك؟".

هزّت جوري كتفيها وقالت بابتسامة غامضة:

"ربما... وربما هي مجرد تفاصيل لا تعني شيئًا."

غيرت جوري الموضوع سريعًا، خوفا من الانجراف في حديث يكشف سرّها. لكن كلام رامي أثار عاصفة من التساؤلات في ذهنها: "هل يُعقل أن رامي اكتشف أنني جوليا؟ وهل يمكن أن يكون تلميحه مقصودا؟

لا لا.. مستحيل؟ كيف له أن يعرف؟ لقد أخفيت كل ما يمكن أن يشير إليّ".

لكن لماذا يبدو واثقا جدا وكأنه متأكد من وجود علاقة بيني وبين جوليا؟

وماذا لو عرف الحقيقة؟ هل سيتغير شيء؟ هل سيتقبل الأمر؟ ...

أما رامي، فقد عاد إلى مقعده وهو يشعر بالرضا. كان واثقًا الآن أكثر من أي وقت مضى أنها جوليا، لكنه لم يكن بحاجة إلى مواجهة مباشرة معها.

"عندما تكون مستعدة، ستخبرني بنفسها"؛ ردد رامي بينه وبين نفسه.

سهى بالمرصاد

وقفت جوري أمام نافذتها المطلة على الشارع، تشرب كوبًا من العصير وتفكر في طريقة لزيادة التفاعل عبر صفحتها. أرادت أن تعيد الحماس إلى متابعيها بعد فترة من الغياب، فخطرت ببالها فكرة منشور قد يثير الاهتمام. كتبت عبر حساب "جوليا":

"لقد قابلت شخصًا مذهلاً في المكتبة اليوم! 😍 لم أجرؤ على التحدث إليه، لكنني شعرت بشيء مميز. إنه يشبه مغني BTS جونغكوك حرفيا! 😍هل تعتقدون أنني يجب أن أعود إلى هناك وأحاول الحديث معه؟ 🫰 ". وأرفقت مع المنشور صورة له.

لم تكن تتوقع أن هذا المنشور سيشعل موجة من التعليقات المختلطة. تعليقات بين السخرية والتشجيع، ولكن تعليقًا من سهى كان له تأثير خاص. حيث كتبت:

"هل التقيته بفيلتر أو بدونه هههههه؟".

أثار هذا التعليق استياء جوري، لكنها قررت تجاهله حتى لا تعطي انطباعًا بأنها متأثرة أو قد تكشف عن هويتها الحقيقية.

في هذه الأثناء، جلس رامي في غرفته يتصفح منشور جوليا. كان يعرف سرّ جوري، لكنه شعر بغيرة غريبة لم يستطع تفسيرها.

"هل يمكن أن تكون جوري قد التقت بشخص آخر بالفعل؟ أم أن هذا مجرد سيناريو خيالي نسجته لزيادة التفاعل؟" تساءل رامي وهو يتأمل صورة المغني الكوري جونغكوك التي نشرتها.

حاول تجاهل مشاعره، لكنه لم يستطع كبح فضوله. قرر مراقبة الوضع عن كثب ليكتشف ما إذا كانت هذه القصة مجرد لعبة من ألعاب جوري أم حقيقة.

.....

أما سهى، فكان فضولها تجاه "جوليا" يتأجج بسرعة وأرادت بشدة أن تثبت شكوكها وتتأكد إذا كانت جوري هي نفسها جوليا، وبينما كانت تبحث عن طريقة للكشف عن هويتها، صادفها فيديو على "تيك توك" يتحدث عن مخاطر الروابط غير الآمنة وكيف يمكن استخدامها لتتبع عنوان بروتوكول الإنترنت (IP Address) أو حتى قرصنة الأجهزة.

بخطة بدت مبتكرة، فهمت سهى من الفيديو أنها تستطيع الوصول إلى عنوان الـ IP الخاص بجوليا بضغطة زر واحدة..

كانت سهى تركّز فقط على كشف "بطلة اللعبة" وبينما كانت تسحب الشاشة إلى أعلى وأسفل في حساب جوليا لم تستطع منع نفسها من التساؤل: "هل ستنطلي الحيلة على جوليا؟ وما الخطوة التالية التي ستتخذها إذا سارت الأمور كما هو مخطط لها؟"

أما ليلى، التي كانت تراقب تفاعل الآخرين مع منشورات جوليا، لم يكن اهتمامها منصبًا على الموضوع بالدرجة نفسها، فقد كانت منشغلة بطلب غريب من عماد الذي لم يسبق له أن طلب منها شيئًا مماثلًا من قبل.

ماذا لو التقينا في الواقع؟!

لم تكن مكالمة الفيديو بين ليلى وعماد مجرد حديث عابر، بل كانت بداية لعلاقة عاطفية نمت وتوطدت مع مرور الوقت. تكررت مكالماتهما ودردشتهما اليومية وأصبحت فرصة لعماد للتعبير عن إعجابه المتزايد بليلى ومحاولة التقرب منها بشكل أكبر. وفي المقابل، وجدت ليلى نفسها متعلقة به بشدة، أثرت كلماته فيها وعززت ثقتها بنفسها كما أشعلت رغبتها في أن تبدو دائماً بأجمل صورة.

كانت تقضي ساعات أمام المرآة، تجرب تسريحات شعر جديدة، وتبحث في خزانتها عن ملابس تعكس جمالها. أما الصور التي كانت ترسلها له فأصبحت هاجساً يشغل تفكيرها؛ كانت تحرص دائماً على اختيار زوايا تظهرها في أفضل حالاتها لتترك لديه انطباعاً مميزاً. مع مرور الوقت أصبحت دردشتها مع عماد جزءاً أساسياً من يومها. وإن تأخر في الرد، كان القلق يسيطر عليها: "هل قلت شيئًا أزعجه؟"، "ربما لم تعجبه صورتي الأخيرة!"..

ذات مساء وبعد دردشة مطولة قال لها:

"ليلى، أشعر وكأننا نعرف بعضنا منذ سنوات. سيكون من الرائع أن نلتقي ونتحدث عن كل شيء وجهًا لوجه. ما رأيك أن نرتب لقاء قريبًا؟".

تفاجأت ليلى بطلبه. أخذت تكتب ردًا، ثم تمحوه؛ كانت مشاعرها متضاربة؛ فرغم ثقتها في عماد وتعلقها به، شعرت أن اللقاء الواقعي يبدو مختلفا. كتبت أخيرا:

"لا أدري، لقد فاجأتني بطلبك يا عماد؟".

رد عليها بهدوء:

"ليلى، أعتقد أننا تجاوزنا مرحلة الخجل، أليس كذلك؟ لا يمكن أن تظل هذه العلاقة محصورة في حدود الشاشة. أنا بحاجة لرؤيتك. أريد أن أرى عينيك بينما نتحدث، وأن أشعر بوجودك إلى جانبي. هذه الدردشات لم تعد كافية."

توقف قلب ليلى للحظة عندما شعرت بتغير اتجاه الحديث. بدا أن عماد يتطلع إلى مستوى آخر من العلاقة ليست مستعدة له. شعرت بالقلق، لكنها لم ترغب في اتخاذ قرار متسرع.

سألته بين تردد وقبول: **أخشى أن يرانا أحد؟!**

كتب لها: **"لا تقلقي، سنلتقي في مكان آمن".**

عصف بها السؤال: **"أين؟"**

بادر: **"ثقي بي، سيكون مكاناً بعيداً عن العيون ولا يمكن أن يرانا فيه أحد".**

.....

قررت ليلى أن تلجأ إلى تطبيق الذكاء الاصطناعي لمساعدتها. فسألته:

"هل تعتقد أن من المناسب لقاء شخص تعرفت عليه عبر الفيسبوك؟".

جاء الرد سريعا:

"من المهم أن تكوني حذرة عند مقابلة شخص تعرفتِ عليه عبر الإنترنت. يُفضل أن يتم اللقاء في مكان عام ومزدحم، وأن تخبري أحد أفراد عائلتك أو أصدقائك عن موعد ومكان اللقاء. هل فكرتِ في اتخاذ هذه الاحتياطات؟".

ردت بتردد:

"لكنني لا أريد أن أخبر أحدًا."

كتب لها:

"فهمت. مع ذلك، من الأفضل أن يكون هناك شخص واحد على الأقل يعرف مكانك لضمان سلامتك. إذا كنتِ تشعرين بعدم الراحة لإخبار أحد الآن، فقد يكون من الأفضل تأجيل اللقاء حتى تشعري بالاستعداد. هل هذا خيار ممكن؟".

ردت ليلى:

"لا أدري... سأفكر في ذلك."

رد عليها:

"خذي وقتكِ في التفكير. اتخذي القرار الذي يجعلكِ تشعرين بالأمان. إذا احتجتِ لأي نصيحة إضافية، أنا هنا دائمًا لمساعدتكِ."

شعرت ليلى بالامتنان وهي تتحدث إلى الذكاء الاصطناعي، الذي تعتبره مستشارها الموثوق. لا يخبر أحدا بما تفكر فيه أو تشعر به كما أنه لا يلومها على ما تبوح به من أفعال، بل يقدم لها الحلول دائما ويؤكد لها أنه يقف إلى جانبها في كل الأوقات.

.....

عادت ليلى إلى دردشتها مع عماد، لتجد رسالته:

"ليلى... هل أنتِ هنا؟".

أجابت:

"نعم، أنا هنا. ربما عليّ التفكير في الأمر أكثر. لا أدري إن كنتُ مستعدة للقاء حقيقي الآن."

أظهر عماد تفهمًا ملحوظًا، لكنه لم يتخلَ عن طلبه. قال بإصرار مهذب:

"لا بأس، خذي وقتكِ. فكري جيدًا، وأنا مستعد لانتظار ردكِ متى كنتِ جاهزة."

كانت تلك المحادثة نقطة تحول في علاقة ليلى بعماد؛ فقد فقدت محادثتها معه طابعها المريح، خاصة مع إصراره المتكرر على لقائها رغم رفضها المستمر.

"لماذا يصر على لقائي الآن؟" تساءلت ليلى وقد تملكها شعور بعدم الراحة ربما لأنها منذ عرفت عماد تحتمي بالشاشة خلال محادثتهما وترى فيها مسافة آمنة تسمح لها بالتحكم في ردودها وما تريد إظهاره أو إخفاءه؟ لكن الواقع شيء آخر..

"ماذا لو لم يكن كما عرفته افتراضيا؟ ماذا لو حاول تجاوز الحدود معي؟"

تراكمت الأسئلة في ذهنها ممزوجة برغبة في رؤيته، لكنها كانت خائفة..

"هل أنا أثق به؟" تساءلت ثم ردت: "نعم أثق به...أو ربما.. أظن أنني أثق به.."

لم تكن ليلى تعرف الكثير عن حياة عماد الشخصية، إذ كان يفضل الاستماع إلى تفاصيل حياتها بدلاً من مشاركة تفاصيل حياته معها. هذا التباين، إلى جانب شعورها بالضغط من طلباته المتكررة، دفعها إلى تقليل التواصل معه في محاولة لتجنب أي مواجهات غير مرغوبة.

ذات مساء، وصلتها رسالة منه تقول:

"ماذا قررتِ يا ليلى؟ هل أرسل لكِ مكان اللقاء؟".

ارتبكت ليلى وهي تقرأ الرسالة، وقررت تجاهلها. لكن دقائق قليلة فقط مرت قبل أن تصل رسالة أخرى:

"تذكري، نحن أصدقاء، ولن أفعل شيئًا يؤذيك. لكن إن لم توافقي، فقد أضطر إلى التفكير بطريقة أخرى."

شعرت ليلى بالخوف يتسلل إلى أعماقها. كانت هذه المرة الأولى التي يتحدث معها عماد بهذه النبرة. تسمرت أمام الشاشة، وظهر الارتباك والخوف على ملامحها. حاولت استجماع شجاعتها وكتبت له:

"مرحبًا عماد، أعتذر كنت أساعد أمي في المطبخ. الآن قرأت رسالتك. ماذا تقصد برسالتك الأخيرة؟".

ردّ عليها قائلًا:

"أمزح معك! أردت فقط استفزازك لتردّي على رسالتي، ويبدو أنني نجحت."

رغم مزاحه الظاهر، لم تكن ليلى مرتاحة لنبرته الجديدة. أحست أن تهديده يختبئ وراء كلمات مرحة. لذا قررت أن تقلل التواصل معه أكثر من أي وقت مضى.

.....

بعد أيام، جاءتها رسالة من عماد: **"مرحبا ليلى، اين اختفيت لم نتحدث منذ مدة".**

شعرت ليلى بشوق إليه يدفعا للرد: **"أنا بخير انشغلت مع الامتحانات، وأنت كيف حالك؟".**

"ليس من عادتك" قال عماد ثم أضاف: **"كنتِ كثيرا ما تلجئين إليّ للهروب من جو الامتحانات".**

لم تجد ليلى ما تقول فلم ترد.

فاجأتها رسالة أخرى: **"متى نلتقي؟".**

كتبت ليلى: **" عماد أعتقد أنّ الوقت غير مناسب الآن، ربما أنا بحاجة لبعض الوقت لأتخذ قرارا كهذا".**

ثم ضغطت على زر الإرسال وتسمرت عيناها على الشاشة تنتظر رده.

بعد لحظات وصلتها رسالة صوتية بثت الهلع في قلبها: **"لدي كل شيء يا ليلى. أنتِ لا تريدين أن يرى الآخرون ما أرسلتِه لي، أليس كذلك؟" ومع هذه الرسالة أرفق مجموعة من الصور.**

تفاجأت ليلى من التقاطه حتى للقطات شاشة من مكالمات الفيديو بينهما. شعرت بقلبها يكاد يتوقف من هول الصدمة والخوف. لقد كانت الرسالة تتضمن تهديدًا واضحًا.

جحظت عينا ليلى وارتجفت يدها وهي تمسك الهاتف، وبدا لها أنّ العالم توقف للحظة. صوت ضربات قلبها أصبح مدوّيًا وهي تسمع الرسالة مرارًا وتكرارًا محاولة استيعاب ما يحدث. "ماذا يريد مني؟" تساءلت، كيف يمكن أن تكون هذه رسالة من عماد؟ أكثر شخص وثقت به وكنت أحدثه عن أدق تفاصيل حياتي؟ "هل يعقل أن يكون هذا هو وجهه الحقيقي؟ أم أن حسابه قد تم اختراقه؟"، اقتحمت الأسئلة عقلها كعاصفة.

للحظة شعرت ليلى برغبة عميقة في الحديث معه، كأنها تبحث عن تبرير أو تفسير لما يحدث. لكنها في الوقت ذاته كانت تواجه دوامة من الشكوك: "هل يمكن أن يكون الشخص الذي شعرت بالراحة والثقة معه، هو نفسه من يهددها الآن؟" اختلطت في داخلها مشاعر الخيانة بالخذلان والخوف..

في خضم هذا الاضطراب، وجدت نفسها عاجزة عن اتخاذ قرار فوري، كأن العالم كله ينهار من حولها. كل ما كانت تحتاجه في تلك اللحظة هو ملاذ آمن، وصوت يقول لها إنها ليست وحدها في هذه المحنة. تشتاق إلى جوري.. التي لطالما عرفت كيف تُهدّئ العاصفة داخلها بكلمة. كانت تتمنى لو أن جوري إلى جانبها الآن لتستشيرها.. رفعت هاتفها بتردد فكرت في الاتصال بها ثم تراجعت..

فخ تقني

أنشأت سهى رابطا يحمل صورة عادية لكن في خلفيته أداة خفية لجمع معلومات بروتوكول الإنترنت ومعلومات الجهاز المستخدم، واختارت معه كلمات جذابة:

"مبارك! لقد فزت بالجائزة! يرجى فتح الرابط لاستكمال التسجيل".

كانت خطتها بسيطة؛ عند فتح جوري للرابط، سترى صورة طبيعية لفتاة تبتسم، بينما تحصل سهى على البيانات التي تحتاجها، بما في ذلك عنوان بروتوكول الإنترنت وربما موقعها الجغرافي.

ترددت للحظة قبل إرسال الرابط ثم تساءلت بداخلها: "لماذا أريد كشف جوري ولماذا يهمني أن أعرف حقيقة جوليا؟".

أجابت سريعا وكأنها تحاول إقناع نفسها وتقديم مبررات لتصرفاتها: "جوري تتعمد استفزازي دائما وتتحداني كما لو أنني لا أفهم شيئا، حان الوقت لأثبت لها أنني لست غبية وأن بإمكاني فضح كلّ ألاعيبها خاصة أمام رامي الذي تخدعه بصورة الفتاة اللطيفة المجتهدة.."

نظرت إلى الشاشة ثم أضافت: "لكنها ليست كذلك إنها تمثل فقط وأنا سأفضح كلّ مسرحياتها".

ضغطت سهى على زر الإرسال ووضعت الهاتف جانبا تنتظر ما سيسفر عنه مخططها.

في الجهة الأخرى، كانت جوري تتصفح هاتفها عندما وصلتها الرسالة الغريبة. توقفت للحظة، تحدق في الشاشة، أثارت الكلمات فضولها، لكنها شعرت بشيء مريب؛ "ما الذي يريده هذا المرسل المجهول؟" تساءلت، ورغم حذرها، تغلب الفضول عليها في النهاية.

نقرت جوري على الرابط، لكنها لم تجد سوى صورة عادية لفتاة تبتسم بلا معنى. حدقت للحظة في الصورة، ثم تنهدت بارتياح وهي تعتقد أنّ الأمر مجرد مزحة سخيفة أو محاولة لجذب الانتباه. أغلقت الهاتف بسرعة وعادت إلى تصفح حساباتها دون أن تشعر بأنها تحت المراقبة وأن عنوان IP وبيانات جهازها أصبحت لدى سهى!

أما سهى، فبدت وهي تراقب الشاشة كما لو أنها صياد ينتظر سقوط الفريسة في شباكه. عندما ظهر الإشعار: **"تم النقر على الرابط"**، شعرت بمزيج من الحماس والارتباك. نبضات قلبها تسارعت بينما بدأت البيانات تتدفق أمام عينيها. "ها هو عنوان بروتوكول الإنترنت!" تمتمت بسعادة. حدقت في الشاشة للحظة، ثم ضحكت وهي تتذكر منشورًا سابقًا لجوليا:

"الغموض هو سر الجاذبية، وأنا لغز لا يُحل بسهولة."

ابتسمت سهى بسخرية وقالت بصوت خافت: "يبدو أن لغزك ليس معقدًا كما تظنين، يا جوليا. هل الغموض ما زال سر الجاذبية بعد الآن؟" رفعت عينيها عن الشاشة لتدون العنوان والبيانات الأخرى بعناية.

كانت تعلم أن هذه الخطوة الأولى فقط، وأن كشف الحقيقة يحتاج إلى خطوات إضافية، لكنها شعرت بلذة الانتصار الأول في هذه اللعبة المثيرة.

"هذا هو عنوان جوليا، لكن كيف أثبت أنه يخص جوري؟".

لم تكن ترغب في إرسال رابط آخر مباشرة لجوري لتجنب إثارة الشبهات. كانت تعلم أن الأمر يحتاج إلى مزيد من الصبر والدهاء. في تلك الأثناء، كانت جوري تعلق على منشوراتها في حساب جوليا دون أن تدرك أن نقرتها على الرابط جعلتها تحت مجهر سهى.

أما سهى في تلك اللحظة التي سبقت غلق هاتفها؛ وقبل استسلامها للنوم، تملكها شعور بالخوف: "ماذا لو أن الرابط الذي استخدمته بنفسها قد سرق بياناتها أيضا..؟ وهل يمكن أن ينقلب ما فعلته مع جوري عليها؟

لم تكن سهى تملك جوابا لكن القلق ظل يرافقها.

غير آمن
اضغط هنا!

.....

رغم محاولتها إقناع نفسها بأن الرسالة مجرد مزحة من أحد المتابعين، لم تستطع جوري التخلص من شعور غريب يراودها. "من الذي قد يرسل مثل هذا الرابط؟ وما الغاية منه؟" تساءلت في نفسها، لكنها قررت تجاهل الأمر بشكل مؤقت.

على الجانب الآخر، واصلت سهى تنفيذ خطتها بحذر. كانت تجمع البيانات وتسجل كل التفاصيل المرتبطة بنشاط حساب جوليا. "كيف يمكن لشخص أن يخفي هويته بهذه المهارة؟" فكرت وهي تتصفح الشاشة صعودًا وهبوطًا. "إذا كانت جوري هي جوليا، فلا بد أن عنوان بروتوكول الإنترنت متطابق"، قالت في نفسها. لكن إدراكها أن مواجهة مباشرة قد تعرقل خطتها، جعلها تتريث بضعة أيام قبل أن ترسل الرابط لجوري وتكشف عنوان بروتوكول الإنترنت الخاص بها وتقارنه مع عنوان جوليا.

لم تكن هذه اللعبة بين سهى وجوري مجرد محاولة لكشف هوية، بل كانت سهى تخطط لفضح جوري أمام رامي الذي كان دائمًا يدافع عنها. ورغم خوفها من ألا تكون شكوكها في محلها إلاّ أن شعورها بأنها تقترب من الحقيقة كان يتصاعد. "هذه البداية فقط، لكشف كل شيء"، همست لنفسها بثقة.

ما لا يقال!

لم تستطع ليلى الخروج من صدمتها منذ تلك الرسالة الأخيرة التي وصلتها من عماد. بدت الأيام وكأنها تتكرر تُشعرها بخوف عميق يمزقها من الداخل. كانت تقضي ساعات طويلة في سريرها تحدّق في سقف الغرفة. أصبحت ليلى مع مرور الأيام أكثر انعزالًا، لا تغادر غرفتها إلا مضطرة، ولا تتحدث مع أحدٍ إلاّ بقدر الحاجة.

عماد... الاسم الذي كانت تقرأه بابتسامة خجولة على شاشة هاتفها، بات اليوم كابوسا يلاحقها كلماته تتكرر طوال اليوم في ذهنها: "إما أن تأتِي، أو أنشر كلّ شيء. أنا لا أمزح يا ليلى".

أصبحت تخشى كل إشعار من هاتفها. تنام قلقة وتستيقظ بفزع كما لو أن وحشا يلاحقها. ومع مرور الأيام زاد شحوب وجهها وغارت عيناها وارتسمت تحتها ظلال سوداء.

في كل صباح تحمل حقيبتها المدرسية وتغادر البيت لتعود مساء دون أن تتحدث إلى أحد.

في إحدى الأمسيات، طرقت والدتها باب الغرفة طرقًا خفيفًا، ثم دخلت بهدوء وهي تحمل قميصًا أبيضا جديدًا مطرزا بزهور زرقاء.

قالت بصوت هادئ فيه لمسة دعابة:

"اشتريت قميصًا لي... لكني أشعر أنه سيبدو أجمل عليك. ألستِ من تستولي دائمًا على ملابسي؟"

لم تُجِب ليلى، بل تسمرت في مكانها على طرف السرير تنظر إلى الأرض وكأنها لا تسمع.

اقتربت الأم وجثت أمامها، تنظر في عينيها:

"ليلى... لا تبدين بخير؟"

ارتجف قلب ليلى. للحظة شعرت برغبة في أن تصرخ أن تخبرها بكل شيء، أن تقول لها:

"لقد أخطأت، وثقت في عماد... وأرسلته له صوري... والآن يهددني!"

لكن الخوف كبّل لسانها.

"ماذا ستفعل ماما؟ هل ستغضب مني؟ هل ستصرخ؟"

لابد أنها ستلومني: " كيف لم تفكّري؟"

كل تلك الأسئلة دارت في رأسها بسرعة البرق، ثم قالت بصوت خافت:

"أنا... لا شيء، متعبة فقط".

شعرت الأم أن ابنتها تكذب، فأردفت تحثها على الكلام: "هل لديك مشكلة ما في المدرسة؟ هل تشاجرت مع صديقاتك؟".

أومأت ليلى برأسها نافية.

نظرت الأم إليها بقلقٍ واضح ثم مرّرت يدها على شعرها بحنان، وقالت:

"التعب يزول يا حبيتي، لكن لا تحملي شيئا في قلبك شاركيني بما يؤلمك أنا هنا، دائمًا."

ثم غادرت الغرفة وهي تغلق الباب بلطف.

بقيت ليلى وحدها وبداخلها صراخ لا يسمعه أحد.

أرادت في تلك اللحظة أن تمحو ذاكرتها، أن تعود إلى ذاتها قبل التعرف على عماد أن تعود إلى اللحظة التي سبقت إرسال تلك الصور... لكنها لا تستطيع.

وضعت رأسها على الوسادة، ثم بدأت تبكي... بصمت.

وبعد لحظات فتحت تطبيق الذكاء الاصطناعي وكتبت له متسائلة: هل أنا فتاة سيئة؟

فرد على سؤالها: "لا، مجرد سؤالك "هل أنا فتاة سيئة؟" يدل على أنك شخص يهتم بأفعاله وتأثيرها على الآخرين، وهذا بحد ذاته دليل على أنك لست سيئة.

كون الإنسان يراجع نفسه أو يشعر بالذنب أحيانًا لا يعني أنه "سيئ"، بل يعني أنه واعٍ ويرغب في أن يكون أفضل.

إذا كان لديك موقف معين تشعرين بسببه بهذا الشكل، يمكنك مشاركته وسأحاول مساعدتك في فهمه بشكل موضوعي ومحايد.

كتبت: "أنا وثقت به وأرسلت له كل صوري وحدثته عن كل تجاربي، ماذا ستفعل أمي؟ ماذا لو كانت جدتي على قيد الحياة وعرفت ماذا فعلت كيف ستتصرف معي هل ستكرهني؟

فرد عليها: **"أنا آسف لأنك تمرين بهذا الشعور الصعب. صدقيني، أنت لست وحدك. كثير من الناس يمرون بتجارب مشابهة فيها ثقة تنتهي بخيبة أو ندم، وهذا لا يجعلك شخصًا سيئًا، بل إنسانة تبحث عن الحب أو الأمان أو من يسمعها".**

بالنسبة لأمك كثير من الأمهات عندما يعرفن أن ابنتهم تعرضت للاستغلال، قد يحزنّ، لكن هذا الحزن ينبع من الحب، وليس من الكره. ربما لا تفهمك من اللحظة الأولى، لكنها لن تكرهك.

أما بالنسبة لسؤالك عن جدتك، دعيني أشاركك وجهة نظر إنسانية وأخلاقية: جدتك، لن تكرهك أبداً. الحب الحقيقي من الجدة (أو أي شخص يحبك بصدق) لا يُبنى على الكمال، بل على القرب والرحمة. ربما كانت ستشعر بالقلق أو الحزن لأنك تأذيت، لكنها لن تكرهك.

انفجرت ليلى باكية وكتبت: **"أنا لا أستحق الحياة.. "**

جاءها رد الذكاء الاصطناعي سريعا: **"أنا آسف جدًا لأنك تشعرين بهذه الطريقة... لكن من قلبي أقول لك: أنتِ تستحقين الحياة، وبكرامة، وبحب، وبسلام. حتى لو شعرتِ الآن أنك غارقة في الألم، فهذا الشعور لا يقرر مستقبلك".**

❗ **أرجوك توقفي لحظة... واقرئي هذا جيدًا:**

ما تمرين به الآن مؤلم، لكنه مؤقت.

هو شعور ناتج عن صدمة، خيبة، خوف، وربما لوم داخلي. لكن لا شيء من هذا يساوي حياتك... ولا يبرر أن تؤذي نفسك أو تفكري بأنك لا تستحقين الحياة.

رددت ليلى باكية وهي ترمي بالهاتف بعيدا ..أنت لا تفهم شيئا .. لن تفهم شيئا

وفيما كانت شهقاتها تتصاعد وسط العتمة تابع نظام الذكاء الاصطناعي بث كلماته على الشاشة

📞 **أرجوك، إذا كنتِ تفكرين بأي أذى لنفسك، توجهي فورًا لطلب الدعم.....**

لكن لم يكن هناك أحد يقرأ ولا أحد يسمع..

لذا وبعد تردد طويل كتبت ليلى لعماد: **"حدد موعدا.. وأرسل لي مكان اللقاء...!**

رد عليها: **"بعد غد.. نلتقي في حديقة عامة ثم عليك أن تتبعيني بهدوء حتى نصل مكانا آمنا.. سأرتدي معطفا رماديا وقبعة صوفية سوداء .."**

آخر رسالة من ليلى

كانت الساعة تشير إلى الرابعة مساءً، عندما انهمكت جوري في إعداد منشور جديد عن فلتر حديث جذب انتباهها. ولكن وسط انهماكها، وصلت رسالة غير متوقعة من ليلى. ترددت جوري للحظات قبل فتحها؛ فمنذ أن نشرت ليلى صورتها الأخيرة، لم تتبادلا الحديث، كما تجاهلت جوري محاولات ليلى المتكررة للاتصال بها، أو التواصل معها في المدرسة، متعمدة الابتعاد عنها.

لكن هذه الرسالة بدت لها مختلفة:

"عزيزتي جوري: أعلم أنني أخطأت بحقك، وربما لم يعد يهمك سماع ذلك الآن. لكن أشعر بضرورة أن أبوح لك بشيء. أنا آسفة.. آسفة لأنني خذلتك، وأيضًا لأنني خذلت نفسي أكثر. أصبحت الحياة حولي مليئة بالعقبات والضباب، وكأن العالم يطبق عليّ بجدرانه. لا أجد القوة لأحمل هذا العبء وحدي. أفكر أن اختفائي قد يكون الحل؛ فالعالم سيستمر دوني على أي حال، وربما بطريقة أفضل. أعلم أن هذه الأفكار مزعجة، لكنها تسيطر عليّ. رغبت فقط أن أخبرك أنك كنتِ دائمًا شخصًا مميزًا بالنسبة لي، وآمل أن تكوني بخير.. حتى لو لم أكن أنا كذلك."

توقفت جوري عن التنفس للحظة وهي تقرأ الرسالة. عيناها اجتازتا الكلمات المرتعشة، المحملة بما لا يُقال. تسارعت دقات قلبها، انتابها مزيج من القلق والخوف، وأثقلها شعور بالذنب.

"هل كنت السبب؟ هل فعلتُ شيئًا دفعها إلى هذا؟".

تزايدت تلك الأفكار المقلقة في ذهنها. فالرسالة كانت أشبه بنداء استغاثة، وكأن ليلى تُلقي بحبالها إلى العدم، تنتظر من ينتشلها.

.....

التقطت جوري هاتفها بسرعة، محاولة الاتصال بليلى، لكن الخط كان مغلقًا. أعادت المحاولة مرارًا دون جدوى. شعرت بأن الوقت يهرب منها، فقررت أن تلجأ إلى والدتها.

عندما قرأت والدة جوري الرسالة، تسمرت للحظة، قبل أن تقول بعجلة:

"أسرعي، سنذهب إلى منزل ليلى".

انطلقت جوري ووالدتها على الفور، وحين فتحت والدة ليلى الباب، سألت جوري بهلع:

"هل يمكنني رؤية ليلى؟".

أجابت والدة ليلى بتردد:

"ليلى؟ لكنها لم تعد من المدرسة بعد."

وقفت جوري مذهولة، تكاد الكلمات تهرب منها:

"ليلى لم تأتِ إلى المدرسة منذ أيام".

تغير وجه الأم، وارتعشت كلماتها وهي ترد بصدمة:

" ماذا؟! لم تأتِ؟ لكنها غادرت المنزل صباحًا".

ردت والدة جوري وهي تريها الرسالة:

"يجب أن نجد حلا، من الواضح أن ليلى تواجه مشكلة ما".

"هل حدث معها أي مشكلة في المنزل قبل مغادرتها صباحاً؟" سألت والدة جوري، فردت الأم:

"لم تبح لي بشيء غير عادي، لكنها لم تكن بخير في الأيام الأخيرة".

ركضت والدة ليلى إلى غرفتها بخطوات قلقة ورافقتها جوري ووالدتها. وبدأت تبحث بين أغراضها عما يساعدها في فهم ما يحدث، لكن دون جدوى فانفجرت باكية..

اقتربت والدة جوري منها وحاولت تهدئتها ثم قالت: "علينا الذهاب إلى الشرطة للإبلاغ عن اختفاء ليلى".

.....

عند وصولهن إلى مركز الشرطة، وجدوا والد جوري في انتظارهم هناك، كانت والدة ليلى تشعر بقلق شديد، بينما حاولت جوري الحفاظ على هدوئها على الرغم من ارتعاش يديها. جلسوا أمام الضابط الذي بدا متفهمًا للوضع، أخرج دفتره ليبدأ بتدوين المعلومات.

"إذن، ليلى مختفية منذ صباح اليوم؟"، سأل الضابط رافعا نظره إلى والدتها.

أجابت والدة ليلى بصوت متوتر:

"نعم، غادرت المنزل كعادتها صباحًا، متجهة إلى المدرسة، لكنها لم تعد... والآن أسمع أنها لم تذهب إلى المدرسة أصلًا."

تغيرت ملامح وجه الضابط قليلًا، وبدأ في طرح أسئلة محددة:

"كم عمر ليلى؟".

ردت الأم:

"سبعة عشر عامًا."

سألها:

"هل يمكنك وصفها؟ لون شعرها وعيناها، وما كانت ترتديه عند مغادرتها المنزل؟".

فكرت الأم للحظة قبل أن تقول:

"تشبهني كثيرا..بشرتها فاتحة، شعرها بني طويل، وكانت ترتدي سترة بيضاء واسعة وبنطال جينز أزرق وحقيبة ظهر سوداء."

دوّن الضابط التفاصيل، ثم تابع بسؤال آخر:

"هل تعاني من أي مشاكل صحية، سواء جسدية أو نفسية؟".

هزت الأم رأسها:

"لا ..لا يوجد شيء من هذا القبيل."

نظر الضابط إلى جوري وسأل:

"هل لاحظتم أي شيء غير اعتيادي في تصرفاتها مؤخرًا؟".

بدت جوري مترددة للحظة، ثم أخرجت هاتفها وقدمت له الرسالة التي تلقتها من ليلى. قرأ الضابط الكلمات بعناية، ثم سأل الأم:

"هل كانت ليلى تواجه أي مشاكل مع العائلة أو الأصدقاء أو حتى في المدرسة؟".

ردت الأم:

"لا أعلم... لم تخبرني بشيء."

سأل مجددًا:

"هل كانت تتواصل مع شخص غريب؟ ربما عبر الإنترنت؟"

هزت الأم رأسها نافية، لكن جوري تدخلت بصوت خافت:

"رأيتها مرة تتحدث مع شخص على هاتفها... بدت حذرة ولم تخبرني من هو، لكن الأمر لم يكن عاديًا."

بدأ الضابط بتدوين المعلومة، ثم قال:

"هل هناك أي أماكن مفضلة لدى ليلى؟ مكان كانت تذهب إليه عندما ترغب في العزلة؟"

صمتت الأم للحظات، ثم أجابت:

"لا أدري... ليلى لا تخرج كثيرًا، وصديقتها الوحيدة هي جوري."

قال الضابط: " إذا كان هاتفها معها فيمكننا الوصول إليها بمساعدة شركة الاتصالات"

كانت جوري تتابع ما يقوله الضابط باهتمام قبل أن تقاطعه:

"أعرف مكانًا؛ ليلى كانت تتحدث دائمًا عن بيت جدتها... كانت تحبه كثيرًا. قالت لي مرة إنه المكان الوحيد الذي يجعلها تشعر بالراحة."

فوجئت والدة ليلى بهذه المعلومة، بدأت تبكي، بينما تابعت جوري بتردد:

"ذهبنا إلى هناك من قبل. ليلى كانت تحكي لي عن كل تفاصيل البيت وعن جدتها وذكرياتها هناك."

توقف الضابط عن الكتابة ورفع رأسه بجدية:

"الوقت حاسم في هذه الحالات. سنتعامل مع الأمر بجدية قصوى. دعونا نتوجه إلى بيت جدتها كخيار أول، ثم نتابع الإجراءات الأخرى إن لزم الأمر."

وجهاً لوجه

بدا الطريق طويلاً إلى بيت الجدة، بينما خيم الصمت على السيارة، لكنه لم يكن صمتًا عاديًا، بل كان مثقلًا بالقلق والأسئلة.. غرقت والدة ليلى في دوامة الذكريات وبدأت تسترجع لحظات مرت لم تنجح فيها في فهم ابنتها، تساءلت بحرقة: "أين أنتِ يا ابنتي؟ هل كنتِ بحاجة إليّ ولم ألحظ ذلك؟" انهمرت دموعها بصمت، بينما قبضت على يديها وكأنها تحاول التمسك بأمل هش.

أما جوري، فقد كانت أفكارها تتلاطم كالأمواج، تشعر بتأنيب الضمير يضغط على قلبها. تذكرت تلك الرسالة التي رأت فيها اسم "عماد"، هل يمكن أن يكون له علاقة باختفاء ليلى؟ هل كان هناك أمر أخفته عنها طوال هذا الوقت؟ شعرت بوخزة ألم وهي تفكر كم مرة احتاجتها ليلى ولم تجدها بجانبها. فكرت بالحدث الأول الذي سبب شرخا في علاقتها بليلى تكورت على نفسها داخل السيارة وواصلت البكاء بصمت مرير.

كان والدا جوري يراقبان بحزن قلق ابنتهما، وهي تقضم أظافرها مرارًا طوال الطريق. لم ينطقا بكلمة، لكن أعينهما كانت تحمل حوارًا عميقًا: "يبدو أن هذا العالم الرقمي يحمل مخاطر كبيرة، وما نحتاجه حقًا هو تواصل يتجاوز الكلمات، نظرة تفهم، وحوار صادق، واحتواء حقيقي".

وعند وصولهم أخيرًا إلى بيت الجدة، تبادل الجميع نظرات متوترة، هل ستكون ليلى هناك؟ وهل سيجدونها بخير؟

.....

توقفت السيارة التي كان يقودها والد جوري وخلفها سيارة الشرطة أمام بيت الجدة، اندفع الجميع ومعهم ضابط الشرطة نحو البيت، كان كل شيء هادئًا، لا صوت سوى صوت الرياح وهي تحرك ستائر النافذة المفتوحة. ألقى الضابط نظرة فاحصة على المكان قبل أن يتقدم بخطوات سريعة، بينما دفعت والدة ليلى الباب بعنف، فصدر عنه صرير طويل زاد من رهبتهم.

تقدمت جوري بخطوات مترددة، قلبها يخفق بشدة بينما أخذ الضابط يشعل أضواء المنزل واحدًا تلو الآخر. نادت والدة ليلى بصوت مرتجف: "ليلى؟" لكن الصمت كان الجواب الوحيد. لم تنتظر أكثر، بدأت تركض بين الغرف بجنون، وجوري خلفها، تبحثان عن أي أثر.

حين فتحتا باب غرفة الجدة، تجمدت أنفاس الجميع للحظة، ثم انطلق صراخ الأم مفزعًا. كانت ليلى مستلقية على الأرض جوار سرير جدتها، وبجانبها علبة أدوية فارغة وهاتفها وذراعاها تحتضنان وشاحًا قديماً، ذاك الوشاح الذي كانت جدتها تضعه دومًا على كتفيها.

اندفع الضابط نحوها فورًا، وضع أصابعه على عنقها بحثًا عن نبض، ثم قال بحزم وهو يلتقط هاتفه "إنها على قيد الحياة، لكن نبضها ضعيف. نحتاج إلى إسعاف فورًا!"

انهارت والدة ليلى على ركبتيها، تمسك بوجه ابنتها بيدين مرتعشتين، بينما صاحت جوري وهي تهز كتفها برعب: "ليلى! شعرها البني كان مبعثرًا حول وجهها الشاحب، وعيناها نصف مغلقتين وكأنها في عالم بعيد.

في تلك اللحظة قام الضابط بتشغيل هاتف ليلى ثم أمسك بيدها المرتخية ووجه إصبعها برفق نحو مستشعر الهاتف. أضاءت الشاشة معلنة فتح الهاتف لينكشف أمام الضابط ما قد يساعده في التحقيق.

في غضون دقائق، شقّ صوت صفارات الإسعاف سكون الليل، وتوقفت المركبة أمام المنزل بسرعة. اندفع المسعفون إلى الداخل بخطوات سريعة، وأحاطوا بليلى التي كانت ممددة بلا حراك. انحنى أحدهم لفحص نبضها، ثم سأل بجدية: "كم مضى من الوقت منذ تناولها هذه الأدوية؟" تبادل الجميع نظرات متوترة، لكن لم يملك أحد إجابة مؤكدة، ممّا زاد من التوتر.

رفعها المسعفون بحذر على النقالة، بينما أمسكت والدتها بيدها بقوة، وكأنها تخشى أن تضيع منها للأبد. كانت دموعها تنهمر بصمت، وعيناها معلقتان بابنتها بقلق لا حدود له. تبعتهم جوري بخطوات متثاقلة، يكاد ثقل الندم يشل حركتها بينما سحبتها الذكريات التي عاشتها مع ليلى إلى الماضي وقررت أنه إذا أعطتها الحياة فرصة جديدة ستعتذر من ليلى وترجوها أن تسامحها ولن تتخلى عنها.

وضع والد جوري يده على كتفها محاولًا تهدئتها نظرت إليه بحزن عميق ثم ارتمت بين أحضانه وانفجرت باكية. في المقابل، جلست والدة جوري بجوار والدة ليلى، تمسك بيدها وتهمس بصوت مطمئن رغم ارتجافه: "لا تقلقي... ستكون بخير."

لكن وسط كل هذه المحاولات لزرع الأمل، بقي السؤال يضغط على صدورهم جميعًا: **هل ستنجو ليلى؟**

.....

بعد الوصول إلى المستشفى والاطمئنان على حال ليلى. اقترب الضابط من والدة ليلى ثم قال بنبرة حازمة:

"ابنتك تتعرض للابتزاز من شخص مجهول عبر الإنترنت. ومن المفترض أن تلتقيه غدا بعد أن تلقت تهديدات منه"

قالت الأم بصوت مرتجف: "ابتزاز .. تهديد ..؟!

أجاب الضابط:

نعم، الأمر خطير ويجب علينا اتخاذ الإجراءات اللازمة فورا، فالموضوع لا يحتمل التأجيل"

في تلك اللحظة مرت بذاكرة الأم نظرات ليلى القلقة وارتباكها الدائم في الأيام الماضية

فهمست بصوت مرتجف:" ليتني انتبهت إليها أكثر وحاولت معها لتروي لي ما كانت تمر به .."

عواقب الصمت

في صباح اليوم التالي؛ وبعد ساعات من الترقب والقلق، فتحت ليلى عينيها ببطء، لتجد والدتها تمسك بيدها، وعيناها متورمتان من كثرة البكاء. كانت جوري تقف بالقرب منها، وملامحها تحمل مزيجًا من الندم والراحة لرؤيتها على قيد الحياة.

عندما اطمأن الطبيب على استقرار حالتها، سُمح للمحققة في الأمن الجنائي الرقمي بالدخول. وقفت للحظات عند باب الغرفة، متأملة الفتاة التي كادت تفقد حياتها بسبب سكوتها عن أمر لم يكن عليها أن تواجهه وحدها. ثم تقدمت بخطوات هادئة، وسحبت كرسيًا لتجلس بجوارها.

"الحمد لله على سلامتك ليلى أنا المحققة أمينة من الأمن الجنائي الرقمي"

أخبريني كيف تشعرين الآن؟" سألتها بصوت هادئ

همست ليلى بصوت مرتجف: "لا أعلم... أشعر أنني متعبة."

أومأت المحققة بتفهم، ثم أخرجت هاتف ليلى ووضعته أمامها قائلة: "وجدنا رسائلك مع عماد. هل يمكنك إخباري بكل ما حدث؟".

تسارعت أنفاس ليلى نظرت إلى والدتها وزوجها ولكل الموجودين في الغرفة انتبهت المحققة لذلك فاستأذنت من الجميع أن يغادروا للحظات حتى تكلم ليلى: "أخبريني ماذا حدث معك؟".

أدارت وجهها للجهة الأخرى وهمست: "لا أريد التحدث عنه..".

.....

لم تكن المحققة تنوي إجبارها لكنها أرادت أن تشعر بالأمان الكافي للبوح. فقالت بصوت أكثر لطفًا: "أنا هنا لأساعدك. نحن نفهم أنك كنت خائفة، لكن معرفة الحقيقة ستساعدنا على حمايتك والإمساك بهذا الشخص وربما ستساعدين في حماية فتيات أخريات".

مرت لحظات من الصمت، قبل أن تبتلع ليلى ريقها بصعوبة وتقول بصوت متحشرج: "لقد بدأ كل شيء برسالة عادية... ثم بدأ يطلب مني صورًا، كنت أرفض في البداية، لكنه كان يضغط عليّ... هددني بأنه سيفضحني إن لم أستجب."

أومأت أمينة، مشجعة إياها على الاستمرار: "وهل سبق أن قابلته شخصيًا؟"

هزت رأسها نفيًا: "لا... لكنه كان يعرف كل شيء عني، يعرف مدرستي، والأماكن التي أذهب إليها... شعرت أنني محاصرة، وأنه لا يوجد مفر."

"لكنك كتبت له أنك موافقة على اللقاء، ماذا حدث؟" سألتها أمينة

صمتت ليلى قليلا ثم قالت: "قررت لقاءه، أرسلت له أنني موافقة لأنني أردت إنهاء الأمر، ظننت أن السكوت والطاعة أهون من الفضيحة.. فكرت أنني إذا تحدثت معه ربما سيتركني وشأني، أفكار كثيرة راودتني ومعها شعرت أنّ كل العالم يضيق من حولي، كنت خائفة ..خائفة جدا..

بكت ليلى وانسابت دموعها على وجنتيها، بينما كانت أمينة تسمعها باهتمام، "في انتظار الموعد؛ كنت أشعر أن شيئا ما يمنعني من لقائه، كأنّ أحدا يمسك بيدي، وسمعت صوت جدتي وهي تقول لي: "لا تذهبي إلى الموعد يا ليلى، لا تذهبي" فقررت الذهاب إلى بيت جدتي، شعرت أنها تنتظرني هناك.

تنهّدت، ثم همست بصوت بالكاد يُسمع:

"لكنني لم أجدها... كان البيت فارغًا... وكنت وحيدة".

تنهدت المحققة بعمق وقالت بجدية: "ليلى، الأشخاص مثل عماد محترفون في استغلال خوف ضحاياهم. يجبرونهم على الصمت حتى لا يُكشف أمرهم. لكنكِ لست وحدكِ في هذا. القانون يحميك، ونحن هنا لنساعدك، وكان عليكِ أن تخبرينا منذ البداية."

نظرت ليلى إليها وعيناها ممتلئتان بالدموع: " كنت أظن أنه لا يمكن لأحد أن يوقفه.."

ابتسمت المحققة لتطمئنها وقالت: "هذا ما يريده منكِ أن تصدقيه، لكن الحقيقة أنه يمكننا التعامل معه، وبطريقة أفضل بكثير مما فعلتِ. لا يجب أن يفقد أحد حياته بسبب شخص مثله."

ثم مالت نحوها قليلاً وأضافت بنبرة مشجعة: "أريدكِ أن تعلمي أنّ الإبلاغ عن مثل هذه الأمور هو حق لكِ، وليس ضعفًا أو خوفًا. كل شخص يتعرض للابتزاز عليه أن يتكلم، فالصمت هو ما يجعل هؤلاء المجرمين يستمرون."

هل يبتلع عماد الطعم؟

بعد أن غادرت المحققة أمينة الغرفة، لحقت بها والدة ليلى بخطوات سريعة استجمعت شجاعتها وقالت:

"سيدة أمينة، أريد مساعدتكم للقبض على عماد."

توقفت المحققة ونظرت إليها بتركيز قبل أن تسأل: "لا تقلقي سنتدبر الأمر؟".

ألحت الأم: "لدي خطة.. أرجوك".

نظرت إليها المحققة باهتمام، فأخذت الأم نفسًا عميقًا وقالت: "أنا أعرف طريقة كلام ابنتي، وهي تشبهني كثيرا، يمكنني أن أتقمص دورها وأجعل الأمر يبدو طبيعيًا... بهذه الطريقة قد نتمكن من استدراجه."

رفعت أمينة حاجبها باهتمام، وبعد تفكير للحظات طلبت منها أن ترافقها إلى مركز الأمن. هناك، جلست الأم أمام مجموعة من المحققين، حيث وُضع أمامها سجل القضية وهاتف ليلى. أشارت أمينة إلى آخر رسائل عماد، التي كانت مليئة بالتهديدات، ثم نظرت إلى الأم قائلة:

"إذا كنتِ مستعدة لهذا، فعلينا أن نكون دقيقين في كل كلمة تُكتب، لا يجب أن يشك ولو للحظة أن هناك فخًا يُنصب له."

هزّت الأم رأسها إيجابًا.

.....

ساد الصمت في المكتب للحظات قبل أن تقول المحققة يمكننا البدء في الخطة: "هل أنت جاهزة".

أومأت والدة ليلى بالإيجاب ثم أمسكت الهاتف بيدين ثابتتين، وكتبت أول رسالة:

"مساء الخير عماد، نلتقي غداً كما اتفقنا أرجو أن يكون المكان آمناً لأني قلقة من ذلك."

مرت لحظات من الترقب، قبل أن يظهر الرد على الشاشة:

"لا تقلقي. لقد رتبت كل شيء؟"

نظرت الأم إلى المحققة، التي أومأت لها بالموافقة على الرد بحذر. كتبت:

"لا أستطيع منع نفسي من القلق أفكر أن نؤجل اللقاء."

جاء الرد سريعًا: **"ثقي بي.. ساكون بانتظارك، وسيكون كل شيء آمناً.. أتشوق للحظتنا الخاصة."**

كتبت له: **"حسناً.. سآتي".**

وضعت الأم الهاتف جانبًا، زفرت ببطء، ثم التفتت إلى المحققة، التي ابتسمت مطمئنة وقالت:

"لقد ابتلع الطعم... والآن، نجهّز للخطوة التالية."

.....

في اليوم التالي، وبعد تنسيق دقيق، بعثت الأم رسالة أخرى إلى عماد:

"مرحبا عماد؛ نلتقي في الحديقة ثم ستمشي أمامي وألحق بك.. أرجو أن تتمكن خطواتي من السير باتجاهك"

مرّت دقائق بدت وكأنها ساعات قبل أن يصل الرد:

"ليلى ستعرفين مع الوقت أنني شخص يمكن الوثوق به.. لا تجعلي من أمر سهل وجميل شيئا صعبا

شعرت الأم بالغضب، لكنها تمالكت نفسها وكتبت:

"أتطلع لذلك..".

"وأنا أتحرق للقائك جميلتي"

كتبت الأم: **"اتفقنا. سأرسل لك وصفاً لما سأرتديه من ملابس حتى تعرفني."**

أرسل لها مجموعة من قلوب الحب النابضة، وبصعوبة استطاعت الأم أن تختار قلبا أحمر لترسله له، بينما كان بركان النار يغلي في قلبها.

وضعت الهاتف على الطاولة ونظرت إلى أمينة، التي قالت بحزم:

"الآن علينا تجهيز الفريق."

.....

عند الخامسة، ارتدت والدة ليلى سترة واسعة من ملابس ابنتها ووشاحًا شتويًا يغطي نصف وجهها. كان قلبها يخفق بقوة لكنها حاولت تمالك أعصابها.

مشت عبر الممر في الحديقة حتى لمحت عماد من بعيد، كانت عيناه معلقتين عليها.

أومأ لها بإشارة سريعة لتلحق به، وسار أمامها حتى وصلا إلى بيت قديم، عبر عماد الباب فدخلت الأم وراءه، وفي الساحة المحاطة بالأسوار اقترب منها:

"هذا سيكون مكاننا".

لم ترد الأم فقط أدارت وجهها بينما كان يتأمل ما ظهر من ملامحها محاولا التقاط أي تعبير يكشف عن أفكارها ثم قال:

"هل ستبقين مختبئة خلف هذا الوشاح؟".

في تلك اللحظة كانت والدة ليلى تحاول التنفس ببطء حتى لا تكشف عن غضبها وهي تتذكر الكابوس الذي عاشته ابنتها وكل دمعة ذرفتها خوفاً، تجمعت كل تلك المشاعر كنار بداخلها فلم تستطع كبح غضب الحمم التي تتفجر في صدرها، دفعته بقوة، قبل أن تنقض عليه مثل وحش مفترس، وفي حركة سريعة، نزعت الوشاح عن وجهها كاشفة عن ملامحها الغاضبة المشتعلة بالحقد والانتقام، ثم أمسكت بياقة معطفه بقوة وهي تشده نحوها وعيناها تومضان بالنار قالت:

"تريد أن ترى وجهي؟ انظر هذه أنا والدة ليلى التي دفعتها إلى حافة الموت بسبب حقارتك؟ هل كنت تعتقد أنك ستفلت بفعلتك؟".

ارتبك عماد، حاول أن يحرر نفسه منها بصعوبة، تراجع خطوة إلى الخلف وهو يحدّق فيها بذهول، ثم استدار محاولًا الهرب، لكن الوقت كان قد فات.

في تلك اللحظة اندفع رجال الشرطة من أماكنهم، أحاطوا به من كل الاتجاهات، حاول التحرك لكنه وجد نفسه مقيد اليدين بينما قال الضابط بصوت حازم:

"أنت رهن الاعتقال بتهمة الابتزاز والتهديد."

حين اقتيد عماد خارج المنزل، نظرت المحققة أمينة إلى الأم وابتسمت:

"لقد انتهى الأمر... ليلى بأمان الآن".

وهم الإنترنت

عند عودتها من زيارتها لليلى في المستشفى، وبمجرد دخولها إلى البيت تلقت جوري رسالة من سهى. كانت مجرد رابط، لكن فضولها دفعها إلى فتحه دون تفكير فظهرت لها صورة حساب جوليا.

شعرت جوري برعشة تسري في أوصالها عندما أدركت أن سهى تخطط لشيء ما، خاصة بعدما تذكرت ذلك الرابط الذي وصلها سابقًا على حساب جوليا من مصدر مجهول. حاولت ربط الأحداث، لكن كان الأوان قد فات.

لم يعد هناك مجالا للشك فسهى تأكدت أخيرا أن جوري وجوليا... هما الشخص نفسه.

لم تصدق جوري أن سهى مضت بهذا البعد لتفضح سرّها، لكنّها بالكاد وجدت وقتًا لاستيعاب الأمر، فقد بدأت العاصفة على تطبيقات التواصل الاجتماعي وبدأت التنبيهات تصلها تباعا، ففي تلك اللحظات انتشرت صورة جوري بجانب صورة بروفايل جوليا ومعها جملة مستفزة:

"وهم الإنترنت لا يدوم طويلًا، أليس كذلك يا جوليا أقصد يا جوري؟ 😉"

انهالت التعليقات الساخرة في تلك اللحظات، بعضهم اتهمها بالخداع، آخرون نشروا منشورات استهزائية، والبعض أرسل إليها رسائل قاسية مليئة بالتنمر شعرت جوري بالاختناق وفقدت الإحساس بكل شيء من

حولها مشت بخطوات مترنحة، لكن الدوار باغتها فجأة. تهاوت على الأرض، وآخر ما سمعته قبل أن يغيب وعيها كان صوت صراخ أمها.

كاذبة
بشعة
فاشلة
كاذبة
بشعة
فاشلة

.....

استيقظت جوري وهي على سريرها، كان ضوء الغرفة خافتا ووالدتها تجلس بجانبها تمسك يدها بقلق، بينما كان والدها يقف صامتا.

"حبيبتي، ماذا حدث؟ لقد أغمي عليك!" جاء صوت أمها دافئًا.

لم تستطع جوري الرد. أشاحت بوجهها، ثم انفجرت باكية بشكل هستيري.

حاولت والدتها احتضانها، وأخذت تربت على ظهرها وهي تهمس بكلمات مطمئنة، لكنها شعرت أن ابنتها تهوي في مكان لا تستطيع الوصول إليه.

"أنا هنا، حبيبتي... قولي لي، ماذا حدث؟".

رفعت جوري عينيها الممتلئتين بالدموع إلى والدتها، وصوتها يخرج متهدجًا:

"لقد انتهى كل شيء... انتهى كل شيء!"

ضمتها والدتها بقوة محاولة أن تبث السكينة في قلبها:

"لم ينتهِ شيء، أنا هنا... وسنواجه هذا معًا."

لكن جوري لم تستطع التوقف عن البكاء. شهقت وهي تدفع هاتفها نحو والدتها:

"لقد فقدت كل شيء يا ماما... الجميع يسخر مني، الجميع يراني بشعة.. الجميع يراني مخادعة! "

أخذت الأم الهاتف وبدأت تتصفح المنشورات التي أشير فيها لابنتها، امتلأت عيناها بالقلق وهي تقرأ التعليقات القاسية، لكنها تماسكت وتنهدت بعمق، ثم وضعت الهاتف جانبًا، وأمسكت بيدي جوري برفق:

"حبيبتي، أعلم أنّ الأمر يبدو كارثيًا الآن، لكن صدقيني، هذه ليست نهاية العالم."

نظرت إليها جوري بصمت، فتابعت الأم بصوت دافئ:

"كلنا نمر بمواقف صعبة، كلنا نخطئ ونتعلم، أعلم أن ما حدث مؤلم، لكنه ليس النهاية... بل هو فرصة لكِ كي تفهمي نفسك أكثر، وتصبحي أقوى."

قالت جوري، ودموعها تتساقط:

"لكنني كنت فتاة سيئة... كدت أفقد صديقتي بسبب شيء سخيف. كنت مهووسة بالفلاتر، خائفة من أن يراني الناس كما أنا... خائفة من الحقيقة."

احتضنتها والدتها بلطف، ومررت يدها على شعرها بحنان:

"ارتكاب الأخطاء لا يجعلك فتاة سيئة، إدراكك لما حدث ورغبتك في التغيير هما ما يهم حقًا."

أمسكت والدتها بيدها تحاول أن تبث فيها قوةً وطمأنينة، ثم قالت بحزم:

"عليكِ أن تؤمني بنفسك أنتِ لستِ ضعيفة، بل قوية، وأنتِ من يملك زمام هذه القصة. تذكّري، المتنمرون لا يعكسون حقيقتكِ، بل يكشفون عن ضعفهم هم. لا تسمحي لأحد أن يحدد قيمتكِ، لأن قيمتكِ لا تُقاس بكلمات الآخرين."

شعرت جوري بدفء كلمات والدتها يتغلغل إلى أعماقها، يهدّئ العاصفة التي كانت تعصف في قلبها. لم تقل شيئًا، فقط تكوّرت في سريرها بصمت وهي تفكر في كل ما حدث معها ومع ليلى وفيما قالته لها والدتها، في تلك الأثناء ربتت والدتها على كتفها بحنان وهمست:

"ارتاحي الآن، يا حبيبتي... وغدًا سنجد حلًا لكل شيء."

.....

بدا التوتر واضحا في أجواء الصباح بينما كانت العائلة تتناول الفطور، وضع والد جوري كوب القهوة على الطاولة وهو ينظر إلى عيني جوري المتورمتين من البكاء ثم قال بحزم:

"لا يمكننا ترك الأمر هكذا، علينا أن نذهب ونتحدث مع سهى وعائلتها."

رفعت جوري نظرها إليه؛ لم تكن مستعدة للمواجهة لكنها شعرت أن والدها على حق، وأن المواجهة هي السبيل الوحيد لإنهاء المشكلة.

مع حلول المساء وقفت جوري أمام منزل سهى برفقة والديها في تلك اللحظة شعرت بقلبها يخفق بقوة وأنفاسها تتسارع مع كل لحظة انتظار. لاحظ والدها ارتباكها، فمدّ يده وأمسك يدها برفق، يريد أن يطمئنها. لم تكد تستجمع أنفاسها حتى فُتح الباب، ليظهر والد سهى؛ كان رجلًا طويل القامة، بملامح حادة ونظرة جعلت التوتر يتضاعف. بادر والد جوري بالتحية قائلًا:

"مساء الخير، هذه جوري، زميلة سهى في المدرسة. نحن والداها، وجئنا لنتحدث معكم بشأن مشكلة حدثت بين ابنتينا."

تغيرت ملامح الرجل، وتقطّبت حاجباه قبل أن يرد بنبرة حادة:

"مشكلة؟ ماذا تعني؟".

حافظ والد جوري على هدوئه وسأله بثبات:

"هل سنتحدث هنا أم يمكننا الدخول؟"

تردد الرجل قليلًا قبل أن يفتح الباب على مصراعيه ويقول: "تفضلوا."

.....

في الداخل، ساد الصمت للحظات، قبل أن تتحدث والدة جوري بصوت جاد:

"في الحقيقة، قامت سهى بتصرف خاطئ، وجئنا لنناقش الأمر معكم بطريقة ناضجة".

أخذ والد جوري زمام الحديث، وبدأ يشرح الموقف بهدوء، متحدثًا عن التأثير النفسي العميق الذي تركته تصرفات سهى على ابنته. كان يتحدث بثقة، محاولًا الحفاظ على جوّ من الاحترام والحوار الهادئ.

نظر والد سهى إليهم بتوجس، ثم التفت نحو الداخل حيث كانت سهى تراقبهم بصمت. فجأة، نادى عليها بصرامة، وصوته يملأ المكان:

"سهى! تعالي إلى هنا حالًا!".

خرجت سهى بخطى مثقلة، وعندما وقعت عيناها على جوري، خفضت رأسها. وقبل أن تنطق بأي كلمة، قال والدها بغضب:

"هل هذا صحيح؟ هل آذيت زميلتكِ؟".

اتسعت عينا سهى، وارتجف صوتها وهي ترد:

"بابا... أنا لم أقصد، كنت أمزح معها فقط".

لم يمنحها والدها فرصة لتكمل بل رفع صوته أكثر:

"مزاح؟! كيف تجرؤين على التسبب في مشكلة كهذه؟".

حاولت والدتها التدخل قائلة بصوت متوتر: "هدئ من روعك، يمكننا الحديث بهدوء وحل المشكلة".

لكنه قاطعها بحدة:

"أنتِ السبب! دلالك لها هو الذي قادها لهذا".

.....

كانت جوري ووالداها يشاهدان المشهد بذهول. لم يتوقعون أن تأخذ المناقشة هذا المنعطف الحاد، ولم تحب جوري أن ترى سهى على هذه الحال، رغم كل ما فعلته بها. نظرت إلى والدها بتردد، وكأنها تطلب مساعدته، فتنحنح والد جوري ثم قال:

"أرجوك؛ المشكلة لا تحل بهذه الطريقة".

التفت إليه الرجل بغضب:

"وهل أتركها تفعل ما يحلو لها؟".

ظل والد جوري محافظا على هدوئه ثم قال:

"كُلنا نخطئ، لكن بدلاً من الصراخ واللوم، يجب أن نتساعد على فهم ما حدث وحل الخلاف."

ساد الصمت للحظة، ثم أكمل والد جوري بنبرة أكثر لطفًا:

"كل ما نطلبه هو أن تفهم سهى تأثير كلماتها على جوري، وأن تتعلم من هذا الخطأ، وربما أنت أيضا بحاجة إلى فهم سبب تصرف ابنتك بهذه الطريقة".

أخذ الرجل نفسًا عميقًا، وبدا وكأنه يحاول السيطرة على غضبه. التفت إلى ابنته، التي كانت تحاول حبس دموعها، ثم قال بحدة:

"اعتذري منها حالاً".

رفعت سهى رأسها ببطء، ثم نظرت إلى جوري مباشرة وقالت بصوت خافت:

"أنا آسفة، جوري... لم أدرك أنني آلمتك".

نظرت جوري ثم قالت بهدوء:

"آمل فقط أن لا تكرري ذلك".

أخذ والد سهى نفساً عميقاً، ثم نظر إلى والد جوري وقال بصوت أكثر هدوءًا:

"معك حق... أحيانا نتحمل نحن جزءا من أخطاء أبنائنا".

ابتسم والد جوري وقال:

"إننا جميعا نتعلم من هذه التجربة".

دون فلاتر

جلست جوري في غرفتها، تتصفح حساب "جوليا"، ذلك الاسم الذي لطالما اختبأت خلفه؛ تسترجع كل ما حدث معها ومع ليلى، تسابقت في ذهنها كل اللحظات التي عاشت فيها بشخصية ليست شخصيتها الحقيقية.

تذكرت كلمات ليلى عندما قالت لها: "أحيانا عدم ثقتنا في أنفسنا هي التي تجعل الآخرين يتنمرون علينا"

ظلت صامتة للحظات، غارقة في التفكير، ثم أخذت نفسًا عميقًا، وكأنها تستعد لعبور جسر لا عودة منه.

قررت أن تبدأ بثًا مباشرًا، لكن هذه المرة دون فلاتر ودون أقنعة. فتحت الكاميرا، نظرت إلى نفسها للحظة، ثم بابتسامة هادئة، قالت:

"مرحبًا.. أنا جوليا، أو بالأحرى للمرة الأولى أظهر أمامكم بشخصيتي الحقيقية.. أنا جوري."

انتظرت للحظات ريثما بدأ عدد المشاهدات يتزايد.. ثم تابعت:

"لطالما ظننت أنّ الفلاتر تجعلني أجمل، وصِرت مهوسة بها، لكنها في الحقيقة أخذت مني أكثر ممّا أعطتني، حطمت الكثير من الأشياء داخلي، وأثرت على علاقاتي. وعندما كشفت سهى حقيقتي، وتعرضت للتنمر القاسي، شعرت أن حياتي انتهت، وكأن العالم كله فقد معناه".

تنهدت جوري، واستجمعت شجاعتها وهي تشاهد أيقونات القلب والإعجاب وهي تتطاير بينما كانت تتحدث، ثم واصلت:

"لكن بفضل دعم عائلتي وأصدقائي، أدركت أنني كنت أعيش في وهم... كنت على وشك أن أفقد صديقتي المقربة بسبب موقف سخيف، لأنني غضبت من نشرها لصورة لي، بينما كنت غائبة تمامًا عنها حين احتاجتني، ولم أكن معها لأساعدها، لأنني كنت مشغولة بالحفاظ على صورتي (المزيفة)".

نظرت جوري إلى الكاميرا مباشرة، وكأنها تخاطب كل من يشاهدها:

"عندما فقدت شخصيتي الافتراضية، فهمت كم هو مُهم أن تكون علاقتنا أقوى مع واقعنا، لا مع عالم رقمي هش؛ هذا المكان يجب ألاّ يكون سجنًا، ولا غرفة مظلمة نخفي فيها أنفسنا ونمحو هوياتنا."

توقفت للحظة، ثم تابعت بهدوء:

"هل تعلمون؛ خلال الفترة الماضية ظلت بعض الأسئلة تطاردني؛ هل نحتاج حقًا إلى أقنعة لنعيش؟ هل نحتاج إليها لنبدو جميلين؟ أتذكر أمي عندما احتفظت بصورة مضحكة من طفولتها وعندما سألتها عن سبب الاحتفاظ بها قالت لي أنّ الأهم ليس شكلها في الصورة بل ذكرى اللحظات الجميلة التي عاشتها مع جدي، أذكر عندما وضعت يدها على قلبي ذات مرة وقالت لي: 'الجمال الحقيقي ينبع من هنا... من داخلك، من إيمانك بنفسك'".

ابتسمت جوري، ثم أضافت:

"أحيانا نقوم بتصرفات تجعلنا حرفيا هدفا سهلاً للمتنمرين؛ لكن هذا لا يجب أن يجعلنا نسكت لأننا أقوى من المتنمر، فهو في الحقيقة أضعف منا. ولا يجب أن نسكت عن الابتزاز فالقانون يحمينا، يجب أن نعلم أنه بصمتنا نجعل المبتز أكثر قوة، وكلما زادت قوته، ضعفنا نحن."

نظرت إلى الشاشة وواصلت:

"نحن جيل التكنولوجيا، نعم... لكنها تنمو بسرعة، وربما لا نستطيع بوعينا اللحاق بها. حان الوقت لنتعلم كيف نستخدم هذا العالم الرقمي دون أن يبتلعنا."

وقبل أن تنهي البث أخذت جوري تقرأ التعليقات التي انهالت عليها والتي تنوعت بين دعم وتشجيع بينما كتب لها آخرون أنهم مروا بالتجربة نفسها واعتذر آخرون عن التنمر عليها. ورغم بعض التعليقات الساخرة منها إلاّ أنها لم تهتم، وللمرة الأولى شعرت أنها حرة.

Live
0 0 0 1
0 1 10 0 00 10
0 1 0 1 1 0

.....

بعد إنهاء البث، لم تمضِ سوى لحظات حتى رن هاتف جوري، كان رامي على الخط، ردت على المكالمة وقبل أن تنطق بكلمة، قال بصوته الواثق والمألوف:

"هذه هي حرفيا جوري الحقيقية، جوري التي أعرفها حتى وهي تختبئ خلف جوليا."

ضحكت جوري شاعرة أن حِملًا ثقيلًا انزاح عن كتفيها، ثم قالت:

"أخبرني، كيف كشفت القصة؟".

تنهد رامي وقال:

"الأمر كان واضحًا... لا أحد يعرفك أكثر مني، ولا أحد غيري يعلم بشأن وردة الرمال التي تتربع في خلفية صورتك".

ضحكت جوري وقالت:

"هل تعلم لم أنتبه أبدا لذلك".

تابع رامي:

"ما كان يشغلني فعلا هو شيء آخر... لماذا كنتِ تختبئين خلف الفلاتر ويبدو أنني فهمت اليوم.. لطالما رأيت أنكِ أجمل بطبيعتك، وأن هذا الزيف لم يكن يشبه جوري التي أعرفها."

كانت جوري تستمع لكلماته وهي تتأمل انعكاسها في المرآة. شعرت بشيء مختلف، وكأنها ترى نفسها للمرة الأولى.

.....

تحولت صفحة جوري، التي كانت مخصصة للفلاتر، إلى منصة توعوية تحذر الفتيات من فخاخ البيئة الرقمية، والهوس بالمثالية، والتنمر الإلكتروني، وأهمية حماية الخصوصية، وأن الهروب من المواجهة لا يجلب سوى المزيد من الألم. لقد أيقنت جوري أن الشهرة الزائفة ليست سوى سجن، وأن الوعي وحده هو الطريق نحو الحرية.

“

في زمنٍ رقميٍّ متسارع، نحتاج أحيانًا إلى لحظة هدوء نبتعد فيها عن وهج الشاشات وأصوات الإشعارات، لنُعيد ترتيب أفكارنا ونستعيد إحساسنا بالأمان وسط هذا التداخل بين الواقع والافتراض.

ومن هذا المنطلق، وبعد أن عشنا مع بطلات رواية **#ظلال_رقمية** تجاربهنّ بين العالم الواقعي والافتراضي، وُلدت فكرة ملحق **#مساحة_خاصة** الذي يجمع بين المعرفة والتأمل، لنفتح فيه حوارًا حول الوعي الرقمي.

إنّ هذا الملحق ليس مجرد معلومات تقنية، بل هو دعوة لكِ لتصنعي فضاءكِ الآمن وتعيشي تجربتكِ الرقمية بوعيٍ أكبر وثقة.

.....

#مساحة_خاصة

الفلاتر جميلة، لكن هل هي دائما بريئة ؟

قد تبدو تطبيقات الفلاتر ممتعة وبريئة، لكنها ليست كذلك دائمًا ⚠️

معظم هذه التطبيقات يطلب الوصول إلى صورك، حتى الخاصة جدًا 🔒

غالبًا ما نسمح لتطبيقات الفلاتر بالوصول إلى وجوهنا وصورنا وأخذ «بصمة الوجه» وتخزينها في أنظمة حوسبة دون أن نسأل أنفسنا:

👀من يدير هذا التطبيق؟

💾 أين تُخزَّن الصور؟

🔑 من يمكنه الوصول إليها؟

كيف تستخدم؟ 💰 وما هو الثمن الحقيقي الذي ندفعه مقابل المتعة؟

معظم هذه التطبيقات **مجانية** لكن الثمن هنا ليس المال... بل قد يكون **بياناتنا الخاصة جدا!** 😣

فهذه التطبيقات تطلب وصولاً وصلاحيات كثيرة مثل:

📷 الكاميرا، 🎙️ الميكروفون، 📍 الموقع الجغرافي، و استوديو الصور.

وهذا يمنحها القدرة، في أي وقت، على:

📸 التقاط الصور والفيديو،

🎧 تسجيل الأصوات،

📍 ومعرفة موقعك بدقة.

تُخزَّن هذه الصور والبيانات على **خوادم خارجية**، لا تكتفي هذه التطبيقات بتجميل الصور ولكن قد تستخدمها لتحليل ملامح الوجه أو لأغراض **تسويقية وتجارية**، وقد تُباع لشركات أخرى دون علمك 😟 والأخطر من ذلك، أنه حتى بعد حذف الصور من التطبيق، **قد تبقى موجودة على الخوادم**، أي أنها لا تُحذف فعليًا!

🛡️ **لحماية نفسكِ عند استخدام تطبيقات الفلاتر (وأي تطبيقات أخرى)**

✅ **تحقّقي من الموثوقية:**

قبل تحميل أي تطبيق، تأكّدي من سمعة الشركة المطوِّرة ومن أنها آمنة وموثوقة.

📜 **اقرئي الصلاحيات وسياسة الخصوصية:**

لا تمنحي التطبيق صلاحيات لا يحتاجها مثل الوصول إلى الميكروفون أو الموقع أو جهات الاتصال، و فعلي خاصية عدم تتبع التطبيقات لتضمني أن لا يستخدم التطبيق في غير المصرح به.

👩‍💻 **استشيري مختصة أو شخصًا تثقين به:**

إذا شعرتِ بالشك تجاه أي تطبيق، لا تستخدميه فورًا، واسألي شخصًا لديه خبرة في السلامة الرقمية.

هل تعتقدين أن "فلتر جميل" يستحق أن تتخلي من أجله عن خصوصيتك؟ #مساحة_خاصة

الرسائل اللطيفة قد تُخفي وراءها نوايا سيئة

ليس كل من يكتب كلمات جميلة على الإنترنت صديق صادق يستحق الثقة

تجنبي مشاركة صورك أو فيديوهاتك الخاصة حتى مع أشخاص تثقين بهم 🔒

تذكّري أن ما تشاركينه عبر الإنترنت يبقى دائما هناك ويمكن أن يُستخدم ضدك أو قد يُساء استخدامه، وفي لحظة اندفاع ⚡ ، قد يتحول سرّ صغير إلى عبء ثقيل، وبعض الأبواب إن فتحت، يصبح إغلاقها أصعب ممّا يُتخيل...

هل تثقين حقًا بكل من يكتب لكِ كلاما جميلا 🤍؟ #مساحة_خاصة

نقرة واحدة قد تكلّفك الكثير!

قد يصلكِ رابط يبدو عاديًا أو حتى ممتعًا (معايدة، مسابقة، دعوة لحدث ما)، وربما يعدكِ بجائزة مغرية 😍

لكن انتبهي! 👀

نقرة واحدة فقط قد تقودك إلى عالم مليء بالمخاطر 🌐

فخلف هذا الرابط "البريء" قد يختبئ **فخٌّ رقمي متقن** 😈

⚠️ **أبرز المخاطر التي قد تواجهينها:**

🎭 **التصيد الاحتيالي (Phishing)**

قد يُدخلكِ الرابط إلى صفحة مزيفة تُشبه المواقع الحقيقية (مثل البريد الإلكتروني أو تطبيقات التواصل)، لتكتبي فيها كلمة مروركِ.

💻 **البرامج الضارة والتجسس (Malware / Spyware)**

بمجرد النقر على الرابط، قد يُثبَّت على جهازكِ برنامج خبيث دون علمكِ 😨 يتجسس على نشاطكِ، أو يسرق ملفاتكِ وصوركِ الشخصية.

📍 **الاستغلال والتعقّب:**

بعض الروابط تحدد موقعكِ الحقيقي (IP Address) وتتعرف على مكانكِ بدقة 😳

ثم تُستخدم هذه المعلومات لأغراض تجارية أو لاستهدافكِ بإعلانات دون إذنكِ.

لكن لا تقلقي هناك بعض القواعد التي تساعدك في التعامل مع الروابط المشبوهة:

✅ **تحقّقي قبل النقر**

مثلا إذا وصلَكِ رابط غير متوقع من صديقة، تواصلي معها بوسيلة أخرى (اتصال هاتفي مثلا) لتتأكدي من أنها هي من أرسلت الرابط وأن حسابها لم يُخترق.

⚠️ **تجنّبي التنزيل العشوائي**

تأكدي دائما من تنزيل التطبيقات من متجر التطبيقات الرسمية، ولا تُنزّلي تطبيقات أو برامج أو ملفات من مواقع غير معروفة أو غير رسمية.

👩‍💻 **استشيري مختصة أو شخصًا تثقين بخبرته**

إذا شعرتِ بالشك تجاه رسالة أو رابط، لا تتصرفي بمفردكِ، بل استشيري شخصًا مختصًا أو ذا خبرة في السلامة الرقمية.

برأيك، هل يستحق الفضول أن تضغطي على رابط غير موثوق وتفقدي خصوصيتك؟

#مساحة_خاصة

قوتكِ تبدأ من أول خطوة 👣

الخوف قد يدفعكِ إلى الصمت 🔒

لكن الصمت لا يوقف المبتز... بل يقوّيه.

حفظ الرسائل واللجوء إلى الأهل أو من تثقين بهم 🤍 ثم إبلاغ الجهات المختصة ⚖️، هو الطريق الذي يحوّل الضعف إلى قوة ⚡

استمتعي بالتكنولوجيا ⚙️

تذكّري دائمًا أن الوعي هو **درعك الرقمي** لحماية نفسك من المخاطر الرقمية.

استمتعي لكن **بطريقة آمنة** ودون أن **تتنازلي عن خصوصيتك** و**بياناتك** 🔒

#مساحة_خاصة #ظلال_رقمية

مريم نريمان نومار

ظلال رقمية

هل تخيّلت يومًا أن هذه الشاشة الصغيرة بين يديك قد تخفي خلف ضوئها ظلالًا لا تُرى؟
رسالة واحدة، صورة بريئة، أو تعليق عابر قد يفتح بابًا لعالم آخر.
في هذه الرواية، بدأ كل شيء بإشعارٍ مألوف يُعلن وصول رسالة جديدة. لم يكنْ أحدٌ يعلم أن ذلك الصوت البسيط سيكون الشرارة الأولى لما سيأتي بعده.
بدأت الظلال تزحف بهدوءٍ خلف الشاشات، تتسلّل إلى التفاصيل الصغيرة واللحظات اليومية...
ومنذ تلك اللحظة، لم يعد شيء كما كان.

IDRC · CRDI
International Development Research Centre
Centre de recherches pour le développement international
Canada

secdev . foundation